

الفكر الحر



المبادئ السائدة اليوم في العالم مبدأ حرية الفكر . ويتخذ هذا المبدأ في البيئة العربية شكلا بارزا في جميع مجالي الحياة الاجتماعية . فالتناس هنا يطالبون بحرية الفكر ، ويشددون في نشيدان هذه الحرية بمختلف الوسائل ، وهم يعنون بذلك حرية الاعتقاد ، وحرية القول والكتابة وإبداء الرأي ، ولكن قلما تجد بينهم من يعني بهذه الحرية أيضا أن يكون التفكير ذاته حرا .

من العقبات التي اعترضت الفكر في تاريخ الإنسانية قيود على نوعين : قيود خارجية او اجتماعية جادته عن طريق السياسة والدين ، وقيود داخلية او نفسية نشأت عن ارتباطه بالبدن والذات وما بهما من عوامل مؤثرة كالميل والاعتقاد والآثورة ونحوها . وقد كافح البشر عبر العصور لازالة القيود الاولى ، وكان هذا الكفاح شبه اجماعي بحيث انه اصاب نجاحا كبيرا . اما القيود الأخرى ، فقد كان الكفاح للتحرر من سيطرتها مقصورا على النخبة من العلماء والمفكرين ، وكان نجاحه محصورا في نطاق هذه النخبة . والواقع ان قيمة الفكر لا تتمتع الا بالنجاح الثاني ، الذي تحقق لدى كثير من الناس في العالم ، أي حين ان طويقه الى الوسط العربي ما زال محفوقا بالشوك والظلام .

فالفكر الحر يكاد يكون مفقودا في العالم العربي ، في حين انك لا تفتأ تسمع صيحات المطالبة بحرية الفكر ، كما تجد هذه الحرية - بمفهومها الشائع - متوفرة ولو على درجات متفاوتة في بيئات كثيرة . ومرد هذا الى ما يتصور مفهوم حرية الفكر من نساد التصور ، اذ يغيب عن الأذهان الحرية لا تأتي الفكر من خارج فقط ، ولكن تتصل به من داخل النفس أيضا وقبل أي شيء ، وأنه ليس يكفي للفكر ان يتحرر من سطوة خارجي ، وإنما يجب ان يتحرر كذلك من شوائب الذات ومؤثراتها . فالفكر الحر بهذا المعنى الدقيق هو في الواقع الفكر السوي الجدير بالبحث عن الحقيقة ، وهو الغاية القصوى من طلب الحرية للفكر .

ونحن اذا ما قلنا « الفكر الحر » لا نعني فقطه الفكر المتحرر من القيود ، وإنما نعني في الوقت ذاته « الفكر الكفء » أيضا . ذلك ان الى الحرية تستتب المسؤولية ، والمسؤولية قيد ، وهذا القيد بالنسبة الى الفكر متركز في المنطق ومقولاته ومبادئه ، التي يفتقد الفكر معناه اذا خرج عليها . فحرية الفكر ليست مجرد امتناق وانطلاق ، وإنما هي تفرض عليه بالضرورة ان يكون فكرا سويا صحيحا

يجمع الى تحرره ونقاؤه من المؤثرات الفرية عنه ، صفة العمق والكفاءة .

ان فقدان الفكر الحر حقيقة بارزة في حياة العرب العقلية . ولئن كان التبدل على هذه الحقيقة في أي مجال من مجالات البحث الفكري يصادف بعض العصر ، فإن هذا العصر يزول بكتليته اذا تناولنا مجال النقد . ذلك لان مهمة النقد تضع الذات امام ذات غيرها ، بدلا من ان تدعها في مواجهة أفكار مجردة ، فهي تخلق لها نوعا من الاحتكاك والصراع ، وتتيح بذلك الفرصة لعمل كوامنها من التوازن الفردية والمعتقدات المتحجرة . وهذا فضلا عن ان النقد هو أبرز صورة- تصلح للرمز الى حرية الفكر . ولتأخذ لوتين من النقد ، هما الاجتماعي والادبي .

اما النقد الاجتماعي فيخضع عند العرب لعوامل رئيسية ثلاثة . انه متأثر موميا بالصلصة الشخصية ، التي فرصت عليه بما تجره من رهبة او رغبة ان يكون أداة للنفاق والمقاي . وهو متأثر بالوجدان دون العقل ، ولذا كان الفئور القومي مخدوم الخفي ، وكانت الخشية فيه من رؤية الخطر أقوى من ارادة التغلب عليه . فهو يعمل ضمن دائرة قطبي التفكير العاطفي : التفاؤل والتشاؤم ، بحيث يتجه الى الاول ويعرض عن الثاني ، فإذا اكتشف في الحاضر فسادا وفي المصير سوادا اعتبر البوح بذلك تشاؤما فليمتنع عنه ، وإذ ان كل من يقدم عليه . واي معنى يبقى للقيام النقد بعد هذا التسليم ، وهل تقوم له غاية ما في غير ادراك الخطر وتوقعه والتنبيه اليه مما يحلو لبعضهم ان يصفه بالتشاؤم ؟ وثالث هذه العوامل هو الشعور الديني اذ يخضع له هذا النقد من اخلاص او رياء ، ويركز عليه جميع اتجاهاته الاصلاحية ، ولا يتورع عن انتهم من ينتكب هذا السبيل .

واما النقد الادبي فلعله الذاتية فيه أبرز من لغة المنطق ، اذ يحفل بالثر العلاقة الشخصية مع صاحب النتاج الادبي ، من نظرة خاصة الى شخصه ، وشعور او مصلحة فردية بازاله . ولذا ليس من الغريب ان تراه ينأي احيانا عن مناقشة الآراء لكي يتناول الصفات الشخصية التي لا دخل لها في موضوعه . وهو اذا ناقش الآراء ، فأنما يناقش على الاغلب النتائج ، ويهمل مقدمات البراهين التي أدت اليها ، في حين ان المنطق يحتم ان يتركز النقاش في المقدمات لا النتائج ، لان مناقشة النتائج وحدها صورة من التفكير العاطفي السرف .

ان حرية الفكر لفظة براءة تستهوي النفوس ، ولكن غريها المفروض على مجهود الانسان اعظم من غنمها . ان اساسها النبعة ، وعليها ان تؤدي الى ايجاد الفكر الحر ، والا كان مفهومها خاويا مقيما كشأنه عند العرب اليوم .

محمد وهبي

الحركة الرومانطيكية تقف في وجه عصر العقل

ترجمة الدكتور جورج طعمة



التأكيد على الجانب الأقل حظا من العقل
في الطبيعة البشرية

مقاييس الحقيقة والقيمة ، وإلى جعلهم يابون الأخذ بتلك التمييزات التي تعتبر أساسية للحياة المنظمة ، فالرجل الرومانطيك ، شأن السكران الذي يتقبل جميع الأشياء على أنها ذات قيمة واحدة ، يعجز في أكثر الأحيان عن انتقاد خبرته وتشفله بمباهج مجرد العيش عما في العيش الجيد من مباهج اعظم .

يمكن اعتبار Goethe ، شاعر الرومانطيك العظيم ، أحسن شاهد على قوتها وضعفها . لأن قواه التي لا تعرف الكلل قد قادته إلى كل سبيل من سبيل الحياة تقريبا وإلى كل ميدان من ميادين النشاط البشري . فأنجز في كل منها بضعة روايات بلغت ذروة الكمال ، وكثيرا مما له قيمة . إلا أنه ، رغم ذلك ، لم ينتج في الشعر والعلوم والفلسفة كلاً (قطعة) كلاً قط . أما خلا بضع قصائد غنائية قصيرة بطبيعتها ، سجل فيها عواطف عابرة . أما كتابه Faust

فعلى كونه رائدا في كثير من فقراته إذا ما أخذت مستقلة ، فهو ليس قطعة من الفن مكتملة . وقوته Goethe نفسه ، يظل يعقله وعبقريته وحياته اعظم جدا من كل ما كتب . ومع أنه كان يستوحى النجوم ولكنه في الحقيقة لم يرها قط . ولم يرتفع أبدا فوق مستوى الخبرة البشرية بحيث يستطيع أن ينتقدها ، ويميز بوضوح ما هو ذو قيمة منها مما ليس بأي قيمة . لذلك بينما كان يعب من الحياة ، بغناها الذي لا حدود له ، لم يكن يسمو قط إلى القيم التي شاهد منها الاغريق ودانتي وشكسبير الحياة بجمعوها فراقوا ذات مغزى معين للإنسان ، أنه لم يجد أي مبرر للحياة .

ريچبر Santoyana عن ذلك بقوله :

« يقدم لنا Goethe ما هو أساسي جدا ، تدفق الحس ، وهنات القلب ، والآراء المبدئية الأولى من الفن والعلم التي لا تتقاد إلا لسحر أو مقبري ... والحق أن اعظم فضل « للمذهب الرومانطيك » كونه يرجع بنا إلى مبدأ خبرتنا . أنه يذيب العرف الذي كثيرا ما يكون مشوشا ومرتبكا ، ويعيدنا إلى أنفسنا ، إلى الإدراك المباشر والإرادة الأصلية . وذلك هي ، على ما يبدو لنا ، تقلة البدء الصادقة التي لا بد منها ... لكن هذا يعني أن الإنسان الذي لا يملك غير هذه الفلسفة ليس حكيما ، وأنه لا يستطيع أن يقول شيئا ذا قيمة ، وكل ما فيه نزوع وليس فيه أي تحقيق ... وهنا التعمق وكنه النفس ، والاستقامة ، والعناد الذي يشبه

ذلك الانجلاء أو تلك النزعة التي أطلقنا عليها المذهب الرومانطيكى Romanticism ، كانت في الأساس رد فعل ضد تاويل الخبرة البشرية تاويلا ضيقا بمصطلح العقل وحده . كانت نوعا من التأكيد على ذلك الجانب الأقل حظا من العقل في الطبيعة البشرية ، وعلى كل ما يميز الإنسان من آلة التفكير الحاسية الباردة ، وكانت بالتالي ثورة ضد النظر إلى العالم كنظام آلي واسع فحسب . . كانت تعبيراً عن الاعتقاد بأن الحياة أوسع من الذكاء ، وبأن العالم أكثر مما في وسع الفيزياء أن تجد فيه . كانت انصرافا إلى خبرة الإنسان بكل أساليبها وشمولها بدل الانصراف على العلم وحده . أن مفتقدها ، إذا جاز أن يوصف اقتناع كهذا لا شكل له بأنه معتقد ، قد لخصه أفضل تلخيص يرغسون الذي ربما كان ذاته أول الرومانطيكين الأحياء بقوله : « لا بسعنا التضحية بالخبرة من أجل مقتنيات أي نظام من الأنظمة » أن الخبرة ، برائها وأكوانها وحرارتها وتعقدها إلى ما لا نهاية ، هي شيء أعظم من أية صيغة معقولة لها ، أنها أولية ، وكل العلوم والفنون والأديان ليست سوى مختارات من ذلك المجموع الذي لا بد أن يفلت من أية شبكة بنصها الإنسان للاسكابه . وبهذا المعنى نرى علوونا ذاتها ، إذ انطلقت من الأشكال الضيقة الثابتة لعلمي الرياضيات والميكانيك في القرن الثامن عشر ، وأخذت تنزع بصراحة إلى البحت والتجريب ، أقول حتى علوونا هذه قد شعرت بأن الحركة الرومانطيكية ، وهذا يشما نرى معارفنا عن الطبيعة والطبيعة البشرية قد ارتفعت ارتفاعا عظيما وازدادت عمقا ، وكانت تحت تأثيرها أن تضيف إلى هذه الإبعاد بعدا جديدا . أن فضائل النزعة الرومانطيكية هي سعة صدرها وتسامحها ، واستعدادها لتقبل أية حقيقة أو أية قيمة من القيم التي يمكن أن تتكشف عنها أية خبرة ، أو كما يقول William James « بالرغم من أن الماضي كان باستمرار بعلمنا أن جميع القران سوداء ، يجب ألا نوقف البحث عن الغراب الأبيض » . أما عيبها المزعج فهو أنها قد تقود الناس إلى عدم الاكتراث بجميع

عناد الأطفال . وهنا أعظم انعام الطبيعة تأثيرا في النفس ، وأعظم مجموعة متنوعة من القصص العجيبة والتصورات الفظيعة . . . أتى لنا ان نرسم حقا جماع خيرة لا نهائية لا شروط لها فتحددها ، ولا أهداف لها فتقتف مدنها ؟ لا شك ان كل ما يسعى الشبان الصادق الخبرة ان يفعله هو ان يصور لنا بضع لحاح متفارقة في طولها ، وكلها طالست الخبرة التي بصورها ازداد كونها مجموعة من المحسات وتضادت العلاقة ما بين شملها الآخر وشملها الأول . لا بد الحياة الرومانطيقية ان تكون متنوعة ، غير محددة ، غير مكتملة . افلا يصح القول ان ذلك لا بد منه لكل حياة بشكلها المباشر وبان الحياة لا يمكن ان تكون عقلية وتقدمية حقا الا من حيث علاقتها بما ليس بحياة ، أي بالاشياء والمثل العليا والآراء الموحدة التي لا يمكن ان يحياها الانسان بل يدركها ادراكا بالعقل ؟ هنا منشأ العلة الجوهرية لتنفوق المذهب الرومانطيكى : اخلاصه وحرية وغناه ولانهيته . وهنا منشأ حدوده ، وذلك انه يعجز عن اختيار اي مثل من مله العليا يروضه مرضع الثقة ، ويعتقد اعتقادا اعمى بان الكون منيد كمناده ، لذلك كانت الطبيعة والفن يغفلان من قبضته دائما . ان المذهب الرومانطيكى اختياري بشكل عنيد ولا يتعلم شيئا ابدا من الاختبار .

الطبيعي لم يعد يكفى العلى

نتج من هذا الاتجاه العام للمذهب الرومانطيكى بضعة اتجاهات اكثر تحديدا . فالرومانطيكون الاول ، اذ أكدوا على الجانب الأقل حقا من العقل في الطبيعة البشرية ، ارتضوا بالمثل الأعلى الطبيعي *Naturel* الذي كان معروفا في القرن الثامن عشر ، ولكنهم فسروه تفسيراً جديدا . يبدو هذا بشكل واضح جدا لدى روسو Rousseau السدي يعتبر في بعض الأحيان البنيوع الاول للحركة التي جاءت بعده ، الا ان اهميته ترجع فيما يبدو ، الى تعبيره تعبيرا شبيها من الاتجاهات التي كانت بطورها تنمو منذ بعض الزمن . مضى روسو في تاليه « الانسان الطبيعي » حتى شأه في ذلك ايا من العقلين ، ولكن رايه فيما هو طبيعي في الطبيعة البشرية لم يكن مبنيا على نظام الطبيعة الذي تصوره نيوتن ، بل كان مبنيا على خبرته هو الشخصية . وفي رايه ان الانسان الطبيعي ليس ذاك الذي يفكر تفكيرا عقليا متطليا فيحكم على كل شيء على اساس ما يحقنه من نفع لشخصه او لاصحابه ، ولكنه في الحقيقة ذاك الذي يشعر ويثأر . وكان يعتقد ان الذكاء والعقل هما بالدرجة الاولى من ثمار البيئة الاجتماعية - تلك البيئة التي تتناول طبيعة الطفل المونة وتفسدها بداخلها قسرا في قالب تقليدي لا شك في كونه غريبا عنها . ان كل شيء يكون حسنا عندما يخرج من سين يدي خالق الطبيعة ؛ ولكن كل شيء يفسد عندما تتناوله يد الانسان » ليست الحكمة البشرية كلها سوى أهواء ذليلة ، وليست عادتنا شيئا غير الخضوع ، والقلق ، والكبت . يؤلد الانسان المتضرع ويعيش ويوت في حلق القرن الرق ، فعندما يولد الانسان يسجن في قفط ، وعندما يتوق يشد الى كفن . ويقي ميلا بقبود مختلف المؤسسات ما دام في قميص انسان . . . يجب ان نختار بين الانسان والوطن لانا لا نستطيع ان نحصل على الاثنين في آن معا ، لكن ،

لما كان ينبغي للانسان ان يحيا مع اصحابه ، يجب ان يحيا حياته وفق القانون اما اذا اراد ان يبقى حرا واحب ان يحتفظ في المجتمع بالوزغات الصالحة التي انما هي زيماته بالطبيعة ، فيجب ان تحكمه وترشده قوانين طبيعته هو . ان هدف التربية كله يجب اذن ان يكون المحافظة على الانسان الطبيعي وان يضمن ان العادات التي يؤلفها ليست تلك العادات المتكلفة التي تؤخذ من العادات والتقاليد والعقل ، بل تلك العادات التي تزدهر فيها طبيعته من تلقاء نفسها ، ان نهج روسو التربوي المتقن ، المشروح في كتابه *Emile* يرمي الى تجنب الطفل اي تعليم مرتب على يد كائنات بشرية اخرى . ان تربيته سلبية بالدرجة الاولى قوامها « لا ن تعلم الطفل مبادئ الفضيلة والحقيقة ، بل ان نحفظ قلبه من الرذيلة وعقله من الزلل » اذا نجحت هذه الخطة فان تربية الطفل الحقيقية سوف تنبع من النمو الحسري لطبيعته الخاصة وقواه الذاتية ، لميله الطبيعية الخاصة . « لقد جريت جميع الوسائل من هذا الوسيلة الوحيدة التي يقدر له النجاح اعني : الحرية المنظمة تنظيميا جيدا » « العادة الوحيدة التي يجب ان يتاح للطفل اكتسابها هي الا يقتبس اية عادة على الاطلاق » .

ان ما يعنيه هذا ، بالطبع ، هو ان الاحكام الغربية والانتماءات البدائية ، والقوانين الطبيعية ، والانطباضات الاولى هي اجدر بان تتخذ اساسا للعمل من كل التامل ، والحبر ، والخبرة الناشئة عن الاتصال بالآخرين . ليست الاخلاق والدنيرة لتفكير الحكيم بل ثمرة للشعور الطبيعي وقيمة الانسان لا تعتمد على ذكائه بل على طبيعته الاخلاقية التي تتألف في جوهرها من الشعور ، والارادة الخيرة في الشيء الوحيد الذي له قيمة مطلقة . « اي ان المواظف هي العنصر الهام في حياتنا العقلية وان الانسان انما يبلغ الكمال بتموه شعوره لا بنمو ذكائه ، لان الانسان المثالي هو ذاك الذي يفيض حيا وعقلا على الآخرين وهو الذي يستلم الشعور الدنيوي وعرافان الجميل والاحترام . » هذا المفهوم ، الذي يذهب الى ان الشعور هو جوهر طبيعة الانسان ، انما هو اساس نظريات روسو جميعها .

فتراه يشعر بان معتقدات الدين الالهى *first impressions* هي معتقدات صحيحة ، ولذلك تراه ، اذ يتفق مع العقلين في معتقدات الدينية ، فانه لا يني هذه المعتقدات على براهن عقلية بل على المشاعر الدينية التي يراها طبيعية في صدر الانسان . وكذلك تراه ، رغم استخدامه طريقة التفكير السياسي الدنيوي المتعلقة في ايامه ، يني عقيدته الاساسية في تساوي الافراد على ما كان هو نفسه يشعر من صميم قلبه بأنه صحيح . وقد اراد ان كتائسته (الاعترافات) ان يعرض نفسه عارية طنا منه يانه سوف يطعن الناس اخرا على انسان حقيقي - وهو عبارة عن صورة لا تحوي الا اليسر من الجانب العقلي . وحتى قبل روسو كانت المحاولات الاولى للروائيين *novellists* قد نجحت في عرض الدور الثنائي الذي يمتلئ العقل في الحياة العادية . فالروايات الفرنسية الغرامية والصفات المتحولة التي وصف بها Richardson قلب المرأة فاكتسبت شعبية عظيمة ، ادت الى عدد كبير من المؤلفات الغامضية التي ربما كان ابرز مثال لها كتاب « انسان الشعور » لماكنزي *MacKenzie* الذي يغمر كل صفحة منه بالدموع السخية لانغه الاسباب ، ومن جهة اخرى نرى

كتابات آخرين أصوب نظرا من Smollett و Fielding حين صوروا « أشخاصا حقيقيين » فقدما أسبابا قوية تدعو إلى الشك في صحة البيولوجيا البشرية التي تعتقد بأن الدافع الوحيد في الطبيعة البشرية هو الصلحة الخاصة العقلية .

التقاليد تظهر طبيعة حضا

كان توكيد روسو على مشاعر البشر وعواطفهم الأصلية تأكيدا لوري المقصد . فقد كان غرضه تحويل المؤسسات الاجتماعية حتى تتسجم وحاجات الطبيعة البشرية هذه . لكن لو اتخذ المرد الشعور لا العقل معيارا للحقيقة فمن السهل أن يحس بأن العادات والتقاليد هي أيضا طبيعية للإنسان وأن الاقتراحات الرامية إلى تحويل جوهرها فيها هي غير طبيعية بل غير إنسانية . وعلى كل حال ، لما كانت الثورة الفرنسية الكبرى ، بالدرجة الأولى ، ثورة للمذهب العقلي في القرن الثامن عشر ، فإن أصحاب النزعة الرومانطيقية حاولوا أن يبقوا في صف المعارضة المحافظة ، ولما كان من السهل أن تبسذل المشاعر فإن الشعراء الرومانطيكين أمثال Coleridge و Wordsworth قد تحولوا من حماس أولي إلى استمزاز ونفور حين قست قلوبهم تحت تأثير حكم الإرهاب والحملات النابوليونية ، زد على ذلك أن من الأسر المعاند التقليدية في السياسة والدين ان تدافع من نفسها « بالناشدة الفريزية القلب البشري » بدلا من أعداد دفاع مبني على العقل ، ولذلك نجد النصار التقليدي في كل ميدان يرون في طريقة روسو ، ولو دون نتائجه ، فرصة ذهبية . ان كون المذهب العقلي يؤدي دائما إلى الانتقاد والإصلاح بينما يهب المذهب الرومانطيقى لغدسة كل عاطفة ، ليس إلا تأكيد لبل قلنا سابقا من المذهب الأخير ل يملك أي مقياس بنفسه به الأموري .

ان الذي استبق الجانب المحافظ من الحركة الرومانطيقية استباقا واضحا رجل لم يكن من السهل إدماءه بأنه هو نفسه من أنصار الحركة الرومانطيقية وعني به هيوم Hume فإنه حين هدم بدعوته إلى الخبرة دفاع التقاليد الدينية المبني على العقل بل والطريقة العقلية ذاتها المتبعة في العلوم أوضح بشكل قوي جدا أن الطبيعة البشرية معطلة مائة وعرف . لأن ما يبدو معقولا وبديها هو الحق يقال ، ثورة للثورية والمؤسسات القائمة . فكان طبيعيا أن هذا الشك في قوة العقل لا بد أن يدفع هيوم إلى الاعتقاد بان العرف والعادة هما الأساس الوحيد للمعتقدات ، فإن الإنسان أشك الصادق في شكه ، الذي لا يرى حقيقة أكيدة في أي مكان ، فلما يستطيع المشاركة في حماس الثاني المعاندي ، الذي لا يعتمد الخبرة بل العقل لعدم ربه . وإذا لم نتمكن بعد هذا كله ، من العثور على حقيقة أكيدة في الدين والسياسة ، فمن المستحسن أن نتمسك بالكنيسة القائمة والحكومة القائمة ، لأنها تمتاز على الأقل بكونها قائمة وموجودة . ومن هنا نرى النفوس السالفة من الغلبة إلى اللورد بالفور Lord Balfour قد كانت نصيرة المذهب التقليد وللأحزاب المحافظة في أغلب الأحيان . فبؤلا لا يرون مبررا للاعتقاد بأن أي شيء آخر هو أفضل من الوجود . فإذا أضفنا إلى هذا الشك بالعقل الشخصا الأيجابية نحو المؤسسات المعروفة العزيزة على الناس لكثرة

ما الفوحسا ، سهل علينا أن نرى كيف أصبح المذهب الرومانطيكى حصنا للمعتقدات التي بدت وكأنها تنهار أمام حملات النقد العقلي

التأكيد على الإيمان - سندا للدين

إذا كان القرن الثامن عشر قد شهد قيام المعارضة الشديدة في وجه الاعتماد على العقل فقد شهد ، من جهة أخرى ، الاتجاه الإيجابي نحو الاعتماد على الإيمان . وبالطبع ظهر هذا الانكار المطلق للمذهب العقلي أول ما ظهر فسي أوساط الدين ، لأن العقل إنما كشف عن نتائجه الهدامة في الدين أولا . فإذا دنا القرن الثامن عشر من نهايته نبد رجال الدين البعيدو النظر الذين أدركوا ما كان يستهني إليه مذهب التنوير حتما من شك تام والحاج شيق ، والذين كانت تقاليد البشر الدينية لا تزال هامة في نظره ومزيرة عليهم ، نبد هؤلاء نبدا تاما السند الضعيف الذي كان يخيل للناس أن المذهب العقلي يقدمه للنظريات الأساسية في المسيحية ، ومالوا إلى الإيمان فأتخذوا منه أساسا متينا تبعا لنصيحة كل من هيوم Hume وبيل Bayle وبحثوا في التصوف ، في الخبرة الداخلية للنفس ، عن آم حصن بقي من الكفر وما كان يرأفقه ، في نظره ، من اليوعية الخلقية . ظهرت حركة « التقوى » هذه ، في أول الأمر ، في ألمانيا كرد فعل ل ضد المذهب العقلي المتطرف الذي كان يعتنقه اللاهوتيون Deists ومن جاء بعدهم ، بل ضد المذهب العقلي النشيط به من حيث العمق والشكلية ، وأني المذهب العقلي الرزين الذي كانت تؤمن به المدرسية اللوثرية في القرن السابع عشر المعروفة باسم Lutheran Scholasticism (1) المذهب السكولاستيكي اللوثرى . وقد رأى Wesley في الكترا بهذه الحركة الدينية وجعلها أساسا للشعب الإنجلي الكبير في وجه جميع درجات المذهب العقلي . وأخيرا جرى تبرير الدعوة إلى الخبرة الباطنية تبريرا عقليا وصيغت في قالب محكم منظم من قبل كانت Kant الذي كان لتقاليد حركة التقوى الدينية أثر قوي في تفكيره . وفي ألمانيا فإن التناقضات الدينية والسياسة التي تراكمت في حرب الثلاثين سنة عجالت الميل إلى تأكيد الدين العقلي النظم والعقيدة الصحيحة على حساب الحياة الأخلاقية والدينية . ان المذهب البروتستانتي السكولاستيكي Protestant Scholasticism المجرى الذي أضفى الشيء الأساسي في كل من الكنيسة اللوثرية وكنيسة الإصلاح Reformed ترك الكثيرين يعانون الاحساس بفراغ كبير . وكان الرجل الذي رفع راية الثورة قسيسا لوثريا هو Spener الذي دعا الناس ، في كتاب مشهور صدر في 1٦٧٥ عنوانه Pia Desideria ، إلى التأكيد على « دين القلب » ، دين شخصي يزدهر في حياة أخلاقية أتقى بدلا من الدبابة الكنسية الرسمية التي كانت سائدة حينذاك . لم يهاجم Spener أي جانب من المذهب الأرثوذكسي Orthodox system لكنه ادعى أن بعض

(1) وهي الفلسفة المسيحية السالفة في أوروبا الغربية بين القرن التاسع والتاسع الأول من القرن السابع عشر ، بلغت ذروتها في فلسفة توماس الأكويني في القرن الثالث عشر .

والإيمان، والتعليم الصغار ولتشجيع الإرساليات التبشيرية. ولكن أشد انصار مذهب التقوى هم جماعة «أخوان مورافيا» التي أسسها الكونت زوتنودرف Zinzendorf. إذ ألقت طوائف مستقلة كموتوذج للحياة المسيحية النقية وأودعت بعثات مخصصة ومضحية إلى جميع أنحاء العالم : من غرينلاند إلى سيلان . وقد استقر عدد كبير من هذه الجماعات « المورافية » في الوسط « الكويكرى » Quaker الملائم لهم في بنسلفانيا، حيث أتوا ، شأن هولنديين بنسلفانيا تأثيرا كبيرا في الحياة الدينية الأمريكية .

كان بقود رد الفعل ذاته ضد المذهب العقلي الشكلي وضد الموعظة الأخلاقية في انكلترا رجل يدعى جون ويزلي. لكن الحركة هاهنا كانت ثورة لا ضد المذهب السكولاستيكي بل ضد مذهب الآله (المجاهد أو العاطل) وضد مذهب الشك Scepticism وضد الأميالية الدينية ضمن كنيسة انكلترا . اعتنق ويزلي Wesley « ديانة القلب » على يد جماعة صغيرة من المورافيين في لندن عام ١٧٣٨ . وبقي خمسين عاما هو وأخوه شارل Charles وصديقه وإنجيل Whitefield يقومون بحركة أحياء الإنجيلية Evangelical في جميع أنحاء انكلترا وأميركا . وقد ظل معظم الإنجيليين في انكلترا كما في ألمانيا ، ضمن حظيرة كنيسة الدولة حيث ألغوا ما يدعى بحزب الكنيسة الواطئة Low Church . لكن الفريق الأكثر غلوا بينهم استقل بنفسه ليؤسس « الكنيسة المهاجرة » Methodist Church . وجد Wesley أرضا خصبة لرسالاته بين العدد المتزايد من معال المصانع فسي الشمال ، الذين لم يفكر بضرورة الاهتمام بهم حتى انصار المذهب الإنساني العقلي . ولا نقالي إذا قلنا أن الإنجيليين الويزليين هم الوحيديون الذين بذلوا جهودا كثيرة ، قبل صدور قانون المصانع عام ١٨٣٠ ، لتخفيف من آلام الطبقات العاملة والمهانة جنسياتها .

علاوة Wesley ، الفكرة العقلية والإنسانية القائلة بجدارة الطبيعة البشرية وقبحتها ، وأصر على صحة المذهب القديم القائل بالخطيئة الأصلية ، وباليهووت . « أن يهوت الإنسان هو الأساس الوحيد للدين الموصى به . فإذا تخلفنا من فكرة يهوت أنهمم البناء المسيحي ولم يعد له نصيب من التكريم أكثر مما لحكامه منتحلة بريامة » . ولذلك كانت قوة النعمة الإلهية من طريق الإيمان يسوع المسيح ، ضرورة لكيا حياة المرء حياة أخلاقية ومسيحية . والنظرة العقلية التي نرى أن الوحي لا ينفع إلا في توضيح معرفة واجب الإنسان ليست أبدا بالنظرية الملأمة ، لأن الإنسان لا يحتاج إلى المعرفة وحدها بل يحتاج إلى القوة للعمل على هديها . ولهذا أكد ويزلي على كامل النظرية التقليدية القائلة بكفارة المسيح وبافتدائه ، وهاجم فكرة الدين الطبيعي ذاتها . إن الذي يكتفي بغفضيله الذاتية، وبحيا حياة شريفة مستقيمة نقية ، ولكنه لا يتكل من أجل الخلاص على المسيح وحده ، هذا الرجل هو أخطر الرجال . لأن أمام أكثر الناس انغماسا في الخطيئة أملا في النجاة ، إذ يمكن أن تجعله بحسن بفساده وضعفه ، وحاجته إلى نعمة الرب ، أما الرجل المستقيم الذي يتباهى بقوة حجتة ومئاته أخلاقه فإنه ضائع لا محالة . إن الرجل المتدين عندما يؤدي واجبه ، لا يفعل ذلك كما يفعل الرجل العقلي الذي يعتبر الواجب إرادة الله ، بل هو يؤدي واجبه بسبب من تجربة دينية وأغمحة حية وشعور دائم بقوة الإله وخيره .

جوانبه كانت أهم جدا من جوانبه الأخرى ، وأحب أن يمنح أهمية خاصة لتلك الجوانب التي كان لها اثر مباشر فسي الحياة الدينية الشخصية ، ولا سيما العقائد المتعلقة بالخلاص . كانت قيمة الاعتقاد ، في رأيه ، ما ينطوي عليه من نتائج عملية . وأكد على مذهب الولادة الجديدة Regeneration وأصر على أن الشيء الأهم هو تبديل الخلق بالإنعماج الحلي في المسيح . وأنه لا يحق للإنسان أن يعتقد أنه ولد ولادة جديدة وأصبح من المفلحين إلا حين يسدل حياته تبديلا حقيقيا وحين يهيم على سلوكه روح حسب المسيح . وفي رأيه إن لب الحياة المسيحية ليس أحسد الطقوس الدينية الذي تدبره إحدى الكنائس ، بل هو الاختبار الداخلي باعتناق العقيدة والإيمان بها . إن الأمور الأساسية هي النقاء والتقوى وقديسية الحياة - أي الشخصية الخلقية .

« ما كانت ديانتنا المسيحية كلها تتألف من الإنسان الباطني أو الإنسان الجديد ، ولما كان روحها هو الإيمان ، ولما كانت نتائج الإيمان هي ثمار الحياة ، أرى من أجدر الأمور بالأهتمام أن توجه المواقف الدينية نحو هذه الغاية . يجب أن تسر هذه المواقف من جهة ، إلى خيرات الله الكثيرة من حيث تأثيرها في الإنسان الباطني ، بحيث إن الإيمان يزدهر فيزدهي الإنسان الباطني بآزدهاره . ويجب ، من جهة أخرى ، ألا تقصر على حث الناس للقيام بالأعمال الفاضلة الظاهرية ، وتجنب الأعمال الرذيلة الظاهرية ، كما تفعل فلسفة الوثنين الأخلاقية ، بل يجب أن نبني الأساس في القلب . يجب أن نوضح في المواقف الدينية أن ما لا ينبع من القلب هو نفاق محض فتعود الناس أن يتعلموا حباً لله وحب جيرانهم وأن يعملوا بدافع من هذا الحب » .

وقد أكد أنصار Bpener على ثلاثة الأجل من أجل الأغراض العملية والدينية وعلى حجب الأهرسوت السكولاستيكي وحججه ، كما أكدوا المشايخ الإرادة على حسب العقل ، ومحبة الكتابات الصوفية والدينية ، وقالوا بضرورة الإيمان الشخصي والنمو الشخصي لبلوغ الكمال المسيحي ، وأكدوا أيضا على تأليف الفرق الدينية Collegia Pietatis أو الجماعات التي تعمل على الصلاة وعلى بناء الخلق . وكانوا بمثابة رد فعل ضد بعض اتجاهات القرون الوسطى ، ولا سيما ، واعتقادهم بالحاجة إلى الخلاص وإلى طريقة الخلاص ، واعتقادهم بالحاجة إلى صرف الميحي المادي عما كان يافه من محبة القدسيات وتوجيهه نحو شرب من الزهد والتسك الذي يتغلذى ، تنشره جماعات عاملة في العالم بدلا من الزهبا المتكفئين في أدبرتهم من الناس . لكن هذه الحركة ، في تاييدها على هذه الجماعات ، وفي مقبتها لنظام الكهنوت ولنظام الطقوس ونظام التسوس Sacramentarianism ، أو Sacerdotalism ، وفي كرهها ، في الحقيقة ، لكل شرب من الاعتماد على ممالك الكنيسة من الوظائف الدينية المنظمة ، كانت في كل ذلك فردية جدا وداعية ، بأسلوبها الخاص ، إلى التشتت شأنها في ذلك شأن المذهب العقلي ذاته . وقد استبدلت تقليدا جديدا بالمذهب القديم المتسادي بصحة العقيدة . أما الذي إبت أن تتسامح فيه فهو الحياة الخالية من التقى .

إن معظم انصار مذهب « التقوى » الآن ظلوا ضمن الكنيسة اللوثرية ، حيث لم يلبثوا أن أصبحوا الحسوب المسيطر وأسسوا عددا كبيرا من المؤسسات للعناية بالفقراء

« كل هبة من الخير تأتي من عند الله . وتأتي إلى الناس بواسطة روح القدس . ولي يكون فينا من الخسب سوى ما تعطيه لنا هذه الروح الطيبة . وهل نملك أية معرفة صحيحة عما هو خير ؟ إذا كنا نملك مثل هذه المعرفة فإن ذلك لا يرجع إلى إدراكنا الطبيعي لأن الإنسان الطبيعي لا يستطيع تمييز الأشياء التي تأتي من روح الله ، لذلك لا يمكننا نقد التعرف على هذه الأشياء حتى يظهرها الله لنا بواسطة وحيه » .

وإذن ، فاعقل عاجز ، والمعرفة الصحيحة الوحيدة تأتي بواسطة أداة روحية خاصة ، أعني الإيمان .

« الإيمان هو ذلك الدليل الرباني الذي به تعرف الإنسان الروحي على الله وعلى ما لله . أنه بالنسبة إلى العالم الروحي كالخسب بالنسبة للعالم الطبيعي . أنه الإنسان الروحي لكل نفس تولد من الله ... وإلى أن تصبح في حوزتك هذه الحواس الداخلية ، وحتى تتفتح عيون عقلك لن تستطيع أن تفهم الأشياء الإلهية فهما صحيحا ولي يتكون لديك أية فكرة عادلة عنها . ولن يكون في وسعك بناء على ذلك ، أن تحكم عليها حكما صادقا أو أن تفكر فيها تفكيرا سليما . لذلك عقلك لن يجد أساسا يعتمد عليه ولا مواد يبنى بها » .

فالإيمان والإيمان وحده . فيه الفناء . وكل حجة عقلية تنهسر سواء أكانت إلى جانب الحقيقة الدينية أم ضدها .

من هذا يدعو لنا أن جميع الدعوات إلى الإيمان التي جاءت دعما للتقاليد الدينية قد آلت إلى تقليد جديد أعني :

المذهب الإنجيلي Evangelicalism . وقد كان هذا المذهب ، لا المذهب الكاثوليكي القديم ، هو الذي انتشر في أكلترا وأمريكا أثناء حركات الأحياء الدنيوية العظيمة في مستهل القرن التاسع عشر ، وأن هذا المذهب الإنجيلي المخالف كثيرا للمذهب القرون الوسطى وللمذاهب عهد الإصلاح ، هو القوي الآن تحت اسم « المذهب الأساسي » Fundamentalism

وإن ملامحه الرئيسية هي بالدرجة الأولى نتيجة لرد الفعل ضد المذهب العقلي في القرن الثامن عشر . لكن ما هو تأثيره بصورة عامة ؟

« وضع حدا للمذهب العقلي العقيم الذي ساد في القرن الثامن عشر ، واستبدل بالبراهين العقلية خبرة مباشرة وبالدرجة غير المباشرة معرفة مباشرة في حقل الدين ، وبذلك ضيق الخناق على أنصار مذهب الشك Scepticism الذين كان المدافعون عن الدين عاجزين عن التغلب عليهم . وأعاد المشاعر اعتبارها . وأعان رد الفعل الذي حدث في القرن التاسع عشر ضد المذهب الفكري الضيق الذي ظهر في القرن الثامن عشر ، وأعطى الدين معنى جديدا وقيمة مستقلة به وشجع الفردية والتحرر من رقة النظام الكهنوتي ، زد على ذلك كله أنه نشط الدين وأحياه في كل البلاد . ومن جهة أخرى ، أعاد ثانية الشيء الكثير من النظام القديم بما في ذلك الكثير من ملامحه الشديدة التنفير ، التي كان المذهب العقلي قد أحالها إلى نسيان كان يظن أنه أبدي . وعندما أعطى تفسيره للإنسان وحاجاته فاته حول وجهه عمدا نحو الماضي بدلا من النظر إلى المستقبل . وزاد بروزا تتعطل الخلاف بين المسيحية والعصر الحديث وأذاع القول بأن إيمان الأبد لا يتفق أولاهم . ولما أخذ الكثير من الناس يعتبرون هذا المذهب هو والمسيحية شيء واحد ، فانس

ضيق أفعه ورسمه القرون الوسطى الظاهرة فيه وغلبة العاطفة عليه وضالة حظه من الفكر ، ونزعته الغيبية الفجة ، وتمسكه الحرفي بالتوراة ، وعدم تلاؤمه مع الفن والعلوم والثقافة الدنيوية بصورة عامة ، كل ذلك جعل هؤلاء الناس يشيخون بوجههم عن الدين ، بصورة ثابتة ، وبالرغم من العمل العظيم الذي أنجزه المذهب الإنجيلي فإن نتيجته في كثير من الجهات كانت إحدى الكوارث » .

الإيمان سندا للتجاذبات الثورية

لكن بينما كانت الدعوة الجديدة إلى الأخذ بالإيمان بدل العقل تجده تعبيراً لها في هذه الحركات الشعبية الكبيرة الرامية إلى أحياء المذاهب المستوحاة من التقاليد الدينية القديمة كانت في الوقت ذاته أداة انقلابية قوية جدا أيضا . ذلك أن مشاعر الإنسان الطبيعي وعواطفه وحذوسه ، إذ جعلت المصدر النهائي لكل معرفة أو مطلع ، كانت تنتهي بسهولة إلى مبادئ واتجاهات من شأنها أن تقوض النظام القائم . فإن كان أمثال سبيتر وويلز يدعون إلى الأخذ بالحدس والإيمان سنداً للقديم ، فقد أستطاع رجل كروسو أن يستخدمهما بنفس السهولة لتأييد شوق عارم إلى نظام جديد . وعندما استولت روح الحركة الرومانطيقية في آخر الأمر على قسم كبير من الطبقات المثقفة أدرك المتدينون التقليديون أدراكا متمازجا الدهشة ، أن الإيمان كان شيئا أشد مراسا وأصعب قياداً من العقل الخطر نفسه ، وأنه ، إذن أقل صلاحاً من العقل لأن يتخذ أساسا لإنشاء نظام مستقر جديد . لأن خبرة الناس الفاخية لم تكن تقودهم جميعاً إلى النتائج التي انتهي إليها بولس Paul وويلز Wesley ، بل على العكس ، أدت إلى نشوء مجموعة كبيرة من الديانات والفلسفات الجديدة والغريبة التي لم يشهد مثيل لها في البر ولا في البحر . وفي زهو العهد الرومانطيك كاد يبدو أن حدوس كل إنسان هي قانون لذلك الإنسان ، وكنت ترى حتى الأفراد أثناء عبورهم جسر الحياة من الشباب إلى الشيخوخة يدعون المعتقدات من الرؤى الجديدة المتعددة الألوان عن الإنسان والعالم ، وهي رؤى محببة جميلة شغافة تشبه بالواتها وسرعة زوالها ذلك الحبيب الطافي على وجه الماء عندما يتساقط عليه النور . لذلك لم يكن ميثاق الكنيسة الكاثوليكية كانت دائما تفضل المذهب العقلي الذي لا يمكن ضبطه ، ملطفا بالأسرار على مقدمات معينة تقرضها فرضا ، على خبرة الفرد التي لا يمكن ضبطها ، وكانت تنزل أمثال توماس Thomas من رجالها منزلة أسمي من منزلة المتصورين منهم ، مرتابة حتى باوغوسطين ذاته أصل جميع البرطقات . فلما جاءت الثورة الفرنسية واثارت حفلة المدافعين الحقيقيين الكبير من الماضي وأبنا بيرك Burke ودي ميتر De Maistre بنيدان المذهب العقلي لرجل كينتام Bentham كما بنيدان الحدس الذي يدعو إليه روسو أو أمثاله ، وبلغيان إلى نداء التقاليد التي خلدها الزمن وإلى سلطاتها النفسية .

إن النتائج الثورية الممكنة التي ينطوي عليها الدين

[التمهيد في صفحة ٧٤]

الجامعة الأميركية بيروت جورج طعمة

قالت جبةُ الشراب لأختها :
 « عطشى أنا يا أختاه ، عطشى... لمَ لا أرتوي ؟
 تبيساً أحس في كل ذرةٍ من ذراتي ،
 وكنت متبت الورود تحت قدميها ،
 فأين هي ؟... أين هي ؟ تدوسني قدماها ؟... »

* * *

وقالت شجرةُ التفاح بعد أن سمعت نحيب التراب :
 « ويحي ! من يشبع جوعي ؟ ويكسو عريي ؟...
 لقد جفت ماءُ الحياة من قلبي ،
 وكنت الضياء في عينيها ، والرجاء في قلبها...
 فأين هي ؟... أين هي ؟ تنظرني عيناها ؟... »

* * *

وانحنى البلبُ على اذن الشجرة فهمس قائلاً :
 « لقد غشيتها الطاني صلوات وتساييح...
 وأنشدتها أغاني مزوجة يدم الفؤاد...
 كانت الوتر النقي لا نغامي المقرحة ،
 والنأي الكئيب لا لغاني الحزينة ،
 وفجأة شح صوتي ، واختفت النغمة في حلقي...
 فأين هي ؟... أين هي تعشني بإبتسامتها ؟... »

* * *

وتلمل القلم وصاح بصوت متهدج ، متقطع
 « كانت تهزني بأاملها ، فأهز العالم بصريري...
 وتجنو علي بفسه ، فأرى الدنيا كلُّها في قلبي ،
 فلماذا ؟... لماذا جمد الدم في عروقي ؟...
 ولماذا ؟... لماذا يمس الكلمات على شفتي ؟... »
 وما زالت :

جبةُ التراب على أئنيها...
 وشجرةُ التفاح في تحيها...
 والبلبل في أحزانه وآلامه...
 والقلم في تحجره وتأوهه...
 حتى أجذبت الأرض...
 ومحلت السماء !...!

فراغ

○

لوسى سليمان

الجامعة الأمريكية ببيروت

ثورة الوجودية في شعر خليل حاوي

بقلم الأنسة عفاف ييشون



والاقتناع ، وإنما تجدد لا يقف ، وصيرورة متواصلة ! أنها في النهاية ثورة على كل تقليد ! ... وهكذا نرى ان القضية ليست لتحل بتداعي صور معنوية وتمثيلها واقعا اليماء ، على ما في ذلك كله من تأثير ، ولكنه في أغلب الأحيان تأثير فائر بليد . وليس المقصود من التحرر اقتحام الشعر الحر ، أو تخطي الوزن الواحد ، والقافية الواحدة لتقع من جديد في رتابة ودوران ممل . ثم ان المشكلة بعد هذا كله ، لم تعد تتحمل طرافة في النغم ، وابتكارا في حدود الالفاظ ، وإنما هي بحاجة ماسة الى صحة التعمق ، حتى نتخلص نهائيا من تلك السطحية الهوجاء ، التي كانت ولا تزال أولى مميزات المرئية .

نريدها من الإصااق ! نريدها تمثيلا لهذه الدراما الذاتية العنيفة ، التي تحرك كل إنسان وأغ متعمق لمسي اشكالات الحياة ! نريدها تجربة الانسانية جريئة ، قسد صورها في اأحدو التميمر الشاعري ، صور متمتابة ، وانغام اليفة مؤابية ، تنتقل بنا من البين وتعود ، الى هدوء وسكون ، الى نصف يسير على النفوس ، ويهرز الأعماق ، وهذا ما حققته - دون مبالاة في التأكيد - قصائد الشاعر خليل حاوي ... ولكن ، اولىين من الصواب ، وقد وصلنا الى هذه النتيجة ، ان نقف قليلا عند شعر الشاعر نفسه ، محاولين تفهم الاتجاه الذاتي فيه ، والتجدد الاصيل المنبعث من صميم هذا الاتجاه ! هذا ما سنجرّب القيام به ، وسوف نرى طيلة محاولتنا للوجزة أننا امام تفجرات وجودية - معنوية ، تفرع عن عمق في التفور الروحي ، من اجل امكانيات تضاع بالتناقض والجفاف والواقعية المقيدة .

وأول ما يلتفت نظرنا في القصائد كلها ، وثبات صورية متتالية تفاجئنا ببلاطها من عالم الهديان والامكان ، الى عالم الوجود الصرف ، بما فيه من حدود هاربة ، وصيرورة لا تفهم الا على اساس من تجدد الملح ، وتتابعه الخاطف . ولكن هذه الجزئيات وحدها لا تكفي لتدل على التجربة الانسانية الوجودية التي نحن بصدها ، وهكذا كان لا بد لها من ترجيع النغم ، وانسجام التمدد في مطلق الابهام ، لتتقرب الى نفوسنا ، وتشرتنا في قلقها الذاتي ، وتحيرها التواصل ... ونطالعنا الصورة الاولى بحرماتها المضطرب ، فاذا نحن امام رباح مدوية ، ودروب مظلمة ، وزدواج مخيف . وسؤال متتابع تردده مع الشاعر قائلين : (1)

شك اننا معذرون ، اذا نحن اعلناها صرخة من الأعماق ، نقر بساننا من الشعر العربي ، وعدم اتزاننا بالحديث منه . فهذا النغم الواحد الذي تخضع له كل قصيدة ، وهذه القافية الواحدة التي ينتهي منها كل بيت ، لم يعد في وسعنا ان نقبلها ، بعد مؤالفتنا لموسيقى القرب ، واطلاطنا على تخوف الشعراء هناك ، وتعدد محاولاتهم للتخلص من مزاحمتها الخطيرة . ولكن ، هل ذلك الشكل التقليدي الجاف عندنا ، الذي يقف حائلا دون جمال الكل ، ويجعلنا من لم تكفي باصالة الاجزاء والابيات ، هل هو في الحقيقة غير ازدواج ورتيب ، قد أوجدته حياة الصحراء ، وجزيئاتها المشرقة ؟ أو ليس لهذا كله قد جاء مستساقا فقط ، حيث كان يماشي بساطة وسذاجة بدائيين ، وحيث كان الشاعر القفري على اتصال مباشر بفسارة الطبيعة والوجود ؟ لم او ليس لهذا كله ايضا ، قد قبلنا به على مضض ، حين شعراء لم يعمقوا في دقائق الحياة ، ولم يرسلوها نظرة الى شمس ، وتحملنا من اجل ذلك تقريرهم المزعج ، وتحير شعورهم في قالب المناسبات ، لنتنخب الابيات بعد الابيات ، اذا كان هناك ثمة من انتخاب ؟ اما اليوم واليوم بالذات ، وقد تضخمتم القيود المشرقة ، وفنيت معاني الشكلية الجوفاء ، وتراكم التفنن الصوري ، الذي يدل على براعة شعرية ، ومقدرة تخيلية ، على حد قول النقاد عندنا ، وتوسعت اخيرا تلك العاطفية السقيمة ، التي تتمدد في تعميم خطابي عقيم بعيد عن الالفة التي نجحنا ، فالمشكلة اذن تتطلب حلا جازما ، وانتفاضة معقولة .

وهكذا تبدأ خطورة الحل منذ الخطوة الاولى : لم يعد في وسعنا ان نرضى بالقليل ، بل لم يعد في امكاننا ان نقبل القليل . أو لسنا قد جئنا متأخرين كثيرا في عالم عتيق وعتيق جدا ، على حد قول الشاعر اليمينيكي ؟ اوسنا قد ابتعدنا ابتعادا كلياً عن السعادة البدائية ، وعن غبطة الخضوع القديم بما فيه من آلية جافة ؟ وهذا الحديث المتواصل ، الذي أوجدته النفس مع ذاتها ، وأخلد الإنسان الواعي - كما قال ارنولد - بواجه تحت تأثيره متساكس حديثه مزعجة ، ويكابد من جرأته تساؤلات هملت وفورست ، ويشاهد بتأمل من مدى حيرتهما واضطرابهما ، ليس هذا كله بعيدا ويعيدا كثيرا عن مقاميم الشعر متندا ؟ ... انهما انتفاضة عنيفة تلك التي نريد ! انها انطلاقا لتجتاح الجذور ، وتذهب بما تبقى من رواسب القديم الجاهلي ! انها دراسة لشاكلنا وتعق في محاولات القرب ، حيث لا معنى للهدوء

(1) قصيدة « حمران » - الاديب - إبريل 1967 .

والتيوب ،
ما علينا لو رهناء لدى الوحش الرهيب
أو لدى التعلب في السوق المريب ،
وعلانا فوقنا النجوم من وقع التفسر
لم نعلمنا الطوائف الكبار ؛
فانصرتنا الخمر من جوع العلاري
والتهمنا لحم الخفايا
وفلقنا غلو دب قطبي ،
كهله متعلس اسمي الجدار .

أنها الذات وقد بلغت الغاية من القلق على إمكانيتها ،
مع ما في ذلك كله من أشكال وثنائية مضنية ! أنه الجفاف
الروحي ، وقد اغلق عليه في هوة جردت من كل نور وكل
ماهية ونصور ! أنه تخبط قد حرم حتى من دراما المجازفة
في مفهوم الفلسفة الوجودية ! ولكن ، أني لهذه الذات أن
تخاطر وتتقدم ، وقد كبلتها الآلية الحديثة ، وصرفت عنها
كل تامل فكري ، وحركة لازمة ! ثم ما قيمة هذا الاقرار
الجارف بالوت المتخلف في النفوس ، والمجموع البشري قد
تنكر لهذين الاتجاهين ، وأخذ تثبت بما حوله من أشياء
تكيف مساعدته اليومية ! ما قيمة هذا كله والشمور بالوجود
امر نادر ونادر جدا ! وهكذا نمود الى عامل الثنائية الذي
فوقنا به مع مطلع هذه التجربة الوجودية ، ولكنها عودة
فيها الكثير من صحة التخوف على مصيرنا الذي نعتشر فيه .
وتعلل علينا الطوائف الكبار من جديد ، ويتهمنا الوحش
الرهيب للزحف نحونا ، وتتنازع هذين العدوين ازدواج
في الثقافة ، جاء مبررا كل التبعين من توتر الانفعال النفسي
الذي وصلنا اليه . وتتماوج الانعام المتردة للتقرب من
الواقع الآلي ، وتطوّر نداءها مضطربا ، وتعاودنا أخيرا صورة
الجدار بكتاتيه وظلمته ، فتنتفض الذات القلقة على نفسها
به . وتلتفت كعادتنا الى مشاركة الانفاظ المنبثقة من صميم
التجربة ، فإذا بنا نجرب ان نغفو افقادة الدب القطبي ،
ونكتفي بكهفه المنطسب الأعمى الجدار ، ونحاول بهذا كله
ان نقضي نهائيا على كل تساؤل وفصول ، وخصوصا على
عامل التعجب الاصيل في بداية كل نظرة وجودية .

ولكن احتيالنا على النوم لم يطل كثيرا ، وهكذا
فشلت محاولتنا ، وفشلت خصوصا تلك الذات التي
قادتنا مضطرة الى ظلمة الكهوف . وهل هناك شيء اذل
على اخفاها ، من تأجج صراخها الروحي من جديد ، وقد
أخذ يضطرب ويتلاطم أمام منظر البؤس والجفاف ! وهل
هناك شيء أوضح على صحة انفعالها وتخوفها من تفجرها
مشقة نائمة ، وقد تجسست حولها ، على سبيل فاعلية
المشاركة اليومية ، امكانيات مقيدة ، وحشرات متعالية ،
واجترار مقيت ، ويشهد الحنين المتوكل الى الخلاص ناشدا
مونا جديدا ، وحياة افضل ، فتندفع الذات المتلطفة على
امكانياتها ، منقبة ترمائية عند تساؤل الاعماق ، صارخة
باستنكار وعمرد : (٢)

ومنى يبعثنا الجلاء والنسوط العمى ؟ فتعود
بين ايد حنايت في سكوت كي سكوت .

في ليالي الصقيع والحرمان
والريح الموي في متاعف العروب
من يقوننا على حمل الصليب ؟
من يقينا سام الصحراء ،
من يطرده عنا ذلك الوحش الرهيب
منعما يرحف من كهف القليب
ويلف الشارع الحجوم والحي الكتيب
ويشود الجن فينا وتلقونا الذنوب ؛
ان في بيروت دنيا
في دنيا الكدح والوت الرتيب ،
ان فيها حالة مسحورة
خمرنا سريرا من طيوب
للجباري في متاعف العروب

اجل من يقينا سام هذه الحضارة التي احوالت الفرد
الى آلة ميكانيكية مقيدة ؟ من يقينا نعمها الكادح الوحيد ،
ورتابتها المنبسطة بتقلها كاستداد الصحراء بحرهما وخمولها ؟
وأخيرا من يخلصنا من موتها البليغ ، وقد تنكرت لمبدأ
الحرية الاصيل في مفهوم الوجود الانساني ؟ ويوحف الطرف
الاخر من عامل الثنائية في مدينتنا ، ويلف الشارع
الحجوم ، وينتصب امامنا حامسا بوجود حالة مسحورة قد
تربحنا مما تشكو منه ، ولكن ، من يقوننا على حمل
الصليب ؟ من يطرده عنا ذلك الوحش ، ويطرده معه سيوديته
الظلمة ؟ من يخلصنا من خصب اجوائه ، وفنى أحواله ؟
وهمسائه التي تتمدد في النهاية ، وكأنها تحاول التفسد على
كل صراع روحي في نفوس جباري الدروب الضيقة ؟
وتضطرب الانعام بعد ذلك ، وتراكم السور الخفية لتقوننا
الى صميم القلق الوجودي ، بما فيه من هلايا وعصب جدار
يتداعى وينهار على الصدور . وينسحق الوجود في جو
هذه الحمى المضنية ، وفنتش الذات أخيرا على خلاصتها ،
وتذكر الصبح القريب عليها تجده فيه ، ولكنها ما تلبث ان
ترتد مدعورة أمام جبروت النهار ، وعبودية الطوائف :

رد لي يا صبح وجهي السعير
رد لي ، لا ، اي وجه ؟
وجعيني في دمي كيف المرار ؟
واتا في الصبح بيد الطوائف الكبار
واتا في الصبح شيء تاله ، أه من الصبح
وجبروت النهار .

وكيف لها الا ترتد نائمة تقاعة حالها ، واضمحلالها
وسط دوامة من القيود القائلة ، وقد تذكرت على سبيل
المقارنة ، عالم الظواهر المادية ، بما فيه من فقدان للتجدد
وافترار الى كل فعل وجودي حقيقي ؟ وكيف لها بعسد
ذلك كله الا تفر بيوتهها ، وقد ظهرت امامها صورة الوجود
الصحيح ، بما فيه على حد قول هيدجر ، من تمرد على كل
انقياد ، وتهاوت على الاختيار الذاتي الحر ؟ ويزداد التهم
توترا ، ويعاودنا التحير البرير يتضخم صورته ، وذوابع
محاولة ، فتتسائل مرددين مع الشاعر :

انجر القمر مشلولاً مريض
في دروب هدما عبيد الصليب
دون جنوى ، دون ايمان بفرديوس قريب ؟
عمرا الميت ما عون تدمية الذنوب

مقتم (٣) ، وإذا بنا أخيراً أمام خلق شعري متعال ، وقصيدة تتخطى الحواجز والحدود لتحتل مكانها بين أجمل القصائد الغربية على الإطلاق . وهل هناك شيء أوضع على صحة تفوقها ، في مفهوم النظرة الجمالية من ذلك التألف الكلي بين أمكياتها الفنية ، وصورها المبررة ، مع ما تتحلى به هذه الصور من خيال خلّاق ، وهزة جديدة مؤسّرة ، وإنعام متارجحة تارجح خفايا النفس وأنهماها المتواصل ؟ وهل هناك شيء أدل على مطلق قلقها ، على حد التعبير الوجودي من هذا النفور التام ، الذي تجاوز حدود الوجود الصّرف ، وانطلق متعدداً في جذور التراث الفكري ، حيث تصوف الشرق العريق ، وديناميكية العالم اليوناني الروماني القديم ؟ ثم أوليست هذه المحاولة التي نحن بصدها ، بما فيها من تراجع الذات أمام أجواء تنبض بالحياة ، ومن عودة نهائية إلى البحر برياحه ومومه وأفئاته الزرقاء ، أوليس هذا كله دليلاً قاطعاً على تعمق في السام والتحدّي من أجل تراث يضيح بالطين والوقت المحتم ؟

خلني مات بعيني مزارات الطريق
خلني امسى الى ما لست ادري
لن تفلوني لتواني التنايات
بعفسا طين محبي
بعفسا طين موات
اه كم احرفت في الطين الحبي
اه كم مع طين الموات
لن تفلوني لتواني التنايات
خلني للبحر ، للرجح ، لوت
تكثر الانفان زرقا للفرق
بحر مات بعيني مزارات الطريق
مات ذلك الصّور في عيني مات
لا الهولوات تنجيه ولا دل الصلاة .

ولكن ، أوليس هذا التحدي الدفين بما فيه من مجازفة وجودية لا مسوغ لها ، وبما فيه من أطراح لكل بطولة وصلاة ، أوليس ، مع هذا كله ، ومن ناحية ثانية ، برهاناً كافياً على تعمق في الشعور الذاتي ، وردة روحية نحو الوجود الصحيح ؟ ...

وننتقل إلى تفهم العنصر الجمالي في هذه القصيدة ، فيطالعنا ذلك الشكل التيميري ، الذي أكدنا على أصالته في كل شعر وجودي ، ونحاول أن نتمثل عالم الطين الموات ، حيث رمى بحارنا المرض ، بعد أن رافقته الرياح ، فيتمدد الشرق العريق ببيكاتيكته وتصلب خموله ، وصورة التي انخلت طابع الوجود الصّرف - ان صبح هذا التعبير - لما فيها من أفعال ونعوت تساعد على تحقيق الجزئيات المحسوسة ، والتخلص من كل تجريد ، ولما فيها من حسن لفظي إبحالي وكلمات بسيطة ، تذكرنا بقربها من عالم الامكان ، وبعدها من كل تزييف وتصنع ، ولما فيها أخيراً من اتساع في الاجواء ، وفن في التواني ، والائرة فسي التحليق . وتفاجئنا صورة الدرويش العتيق بإبداءها وطرافتها ، وتلفت نحوه ، وقد استفاق مستجيباً للإصحاح البحار ، وتساؤله عن يقينية المعرفة ، فإذا بنا أمام جمال

[التمه في صفحة ٦٨]

عفاف يفسون

أنا صرخة مقعقة يتقل التحير ، وامتداد الاستيقاظ ! انه تساؤل قد استندت ماهيته أمام ضغط النائية وغرايتها ! انه أخيراً تمرد ملوّه بحس العطش ، ومجازفة الخلاص ! وهكذا يعاودنا القلق الذاتي عنيفاً جارفاً ، فيضج تحت تأثيره ذلك الموت الذي تنمى ، وبغت منا هاربا في البعيد البعيد ، ويتدهور وجودنا المرضي في جحيم جسم النفايات ، فينتصب الذات الموهمة بهذا الاحتضار المثير ، وقد تملكها سام نافر من كل ثقافة وكل انقياد ، وتنتلق ثائرة مستمدة من تهكم الالفاظ ، ورعب الصور ، علما مقبنا يضيح بالواقعية والتحدّي . وتعالى الانعام المضطربة في جو هذا البحران الكثيف مبردة بتساؤل مر ، وانفعال عميق:

ومتى يغفل مصباح الظلم
من مغازي العار
والنمى للهدى من سرير لسير ؟
ومتى يحترق الضوء اللبث
ويبوت

عن بقايا غرق شواءه
عنا ، من نفايات القمامى والبيوت
حشرت في مصهر الكبريت ،
في مستنقع الحمى ، رست في جوف حوت ...

ويزداد البحران تشبهاً بالحقائق وتحكما بها ، قاضيا على كل إشراف في الصور ، وكل انتعاشة مكيفة بعاسل الماهيات والمثلث ، فتندفع الذات بين توتر الانسجام ، وأزدواج الثقافية ، وعممة الكهوف والخفافيش ، لتتسر بتناقض مضربها ، وتبطله في هوة العدم :

كل ما الاذرة اتي اسير

عمره ما كان عمرا ،

كان كها في زواياه تذب التنبؤات

والخفافيش تلط

في اس الصمت المرير

وانا في الكهل محموم سرير

يتحلى الموت في اصابته فعوا فعوا ، ويبوت

كل ما افرقه اتي اموت

مسقة ناله في جوف حوت

ولكن ، هل هناك شيء أدل على صحة النفور الحقيقي ، في مفهوم النظرة الوجودية ، من هذا التخوف المرير على سقوط الوجود ، وما يتحمل هذا السقوط من نقص في الامكيات ، وتعلق ضروري بالظواهر ؟ ... وهكذا نصل إلى الطرف الثاني في مبدأ الانتفاء ، حيث يبلغ القلق أوجه ، فتضجمل ذكرى الماضي ، وإشراف المستقبل ، وتعتقل كل حركة ، ويتوقف الزمان ، وينتصب الان تقبلاً كالصخر :

في عماء لا غد يشرق ، لا امس يلو

فبر ان نه كالصخر على تتيّات نموت .

ونطلع متساكين مفتشين عن ثورة الذات في هذا الجُسم الخفيف ، فإذا بها تتراجع أمام تحدّد دفين ، وهدهد عميق ، وتسام في المحاولة لدويان مطلق ، ونفور كلي ، وإذا بنا أمام بحار مريض ، ومطرخ رطب لاماسة الحواس ، ودرويش عتيق ، وانطلاقة وأمية في بحر

من جديد

○

تعبنا من الاقاضي
من فوح الزهر
تعبنا من الورود
من هز السحر
في الشوك حيا
مثل الحصى
حكينا

مشينا كما تمشي الضفادع
سكتنا كالارباب

نغاف من لسع الشتاء
كما كنا .. مشينا

ظننا النمل كما قلنا

بنينا كما ذكرنا

عدنا الى دنيا

دون أن نحيا

جعلنا الصخر لنا

ما عرفنا

نصنع الاها للسا

آخر صنع مثنا

✽

على تلة بلادنا

نزرع السديان

في الوادي
نقص أجنحة الاغصان
نتنظر رجوع الراعي
قلع الاقصاب
نسويها
نحضر فيها النقر
نبعث هزات
في بلادنا

من جديد

من التلة عند الغروب

نلم الظيور

نعلما كيف تسود

نرفع مناقيدها

تنق على الحديد

في بلادنا

من جديد

نلم الزرع

نحصد النعر

مع الحي مع الميت

نبعث شيئا

في بلادنا

من جديد

نربا ملحن

اتجاهات الادب اللبناني

تعود نشأة الادب العربي اللبناني الى اواسط القرن الماضي ، حين افتتح لبنان على الغرب وافتتح الغرب على لبنان ، واذا كانت النهضة الأوروبية في القرن السادس عشر قد انصفت بالموعة الى التراث الاغريقي اللاتيني، فان النهضة الادبية اللبنانية قد انصفت بالموعة الى التراث العربي القديم مع بعض التاثر بأداب الأمم الأوروبية فسي المسرح والقصة ووحدة الموضوع في القصيدة الواحدة ، ومعالجة الابحاث بطريقة موضوعية . على ان هذا التاثر ظل خارجيا سطحيًا بالقياس الى تقليد اساليب البلاغة عند الامة قدماء المنشئين كالحريري وبديع الزمان وابسن المقفع والزمخشري، او عند كبار الشعراء المرسيين كالأخطل والبحتري وابي تمام والمتنبي وابن هاني الاتدلسي . ومن هنا قد يصح اعتبار ادب قرن التاسع عشر رجعة لا نهضة . اذ ليست الرجعة في الادب الا الغراق في تقليد القدماء دون الالتفات الى الحاضر والتطلع منه الى المستقبل . واذا استثنينا بعض اعلام النهضة كفرج انطون والتشيل وصروف وزيدان ومطران ، واضربهم ، لم يبق لنا من اعلام تلك النهضة الا امثال مؤلفي مجمع البحرين والترادف والتوارد . وفي اعقاب الحرب العالمية الاولى برزت على مسرح الادب اللبناني اربعة اتجاهات رئيسية هامة : الاول نزعته خليل مطران في مصر ، والثاني نزعته جبران خليل جبران في الولايات المتحدة الاميركية ، والثالث نزعته فوزي الملوغ في الفاريزل ، والرابع انشله ابيس مظهر فسي الوطن الام . فالانحياز الاول نحا في الشعر نحوًا رومنطيقيا خالصا بتأثيري ديوي وكينس ويرون وبودولت من الانكليز . ولامارلين وهيغو وموسيه من الفرنسيين . فاذا بالشعر العربي يشهد للمرة الاولى وحدة الموضوع في القصيدة الواحدة ، واسلوب السرد القصصي ، والحنين الى الصور الغائبة ، والتشاؤم من الحال القائمة ، وإيثار المعنى على المبنى ، والميوعة الوجدانية الغائرة . ولعل ثائر مطران بطنون وشكسبير وهيغو مع تملكه زمام البلاغة العربية ، هو الذي اسلمنا على معظم شعره نوبا كلاسيكيا فحسا بز به اقارنه وبرز عليهم .

اما الانحياز الثاني فقد كان رومنطيقيا ايضا ولكنه لم يكن رومنطيقيا خالصا . اذ امتزج عند جبران وزملائه واجتماعه بالتأثر الطويلة والصوفية التي لم يسلم منها سوى ابي ماضي - لانتمائه الى مدرسة مطران ، وامين الريحاني - لتأثره بالروح الاميركية المعاصرة التي انعكست اكثر مما يكون في شعر وولت هويمن . ومن شأن هذا الانحياز الجبراني انه ادخل الى الادب العربي تعابير جديدة لمسه بعدها من قبل ، كما نأى به عن المحسوس والملموس الى عالم الرموز والصور الكلامية .

واما الانحياز الثالث ، وهو الذي شق طريقة فوزي الملوغ بشيء من التاثر بجبران ، فلم يخرج عن الطابع الرومنطيقيا الا بقدر ما اثبت شخصية فوزي اللبنانية الاصلية وجودها وحقق ذاتها . ولو كان قد اتبع لسه التضج الكامل لتهر ، في الغالب ، نهجه الوجداني الغائم وابترى للكلمة الصعبة يروضها في صبر واثانة وحبو اسرار

معانيها في شغب الواله الحب .

على ان هذا الذي لم يسحه القدر لفوزي الملوغ اتاحه لاديب مظهر . واديب مظهر ، كفوزي الملوغ ، لم يعش طويلا . الا انه استطاع بالتأثير الذي تركه من شعر ان يطلق تيارا ادبيا جديدا في لبنان ، بل في العالم العربي بأسره ، عرف بالرمزية خطأ وما هو في الواقع الا شعرا جديدا فحسب . ووجدته كانت في انه حمل اللقطة العربية غير ما تعودت ان تحمل من معنى ، ثم اوما بهذا المعنى من بعيد . وبذلك خلق شعرا لا يعكر صفاه انثر الملقى الموزون . واليك قوله :

وسري قبيل الساء تلحي

دموع السهى ودماء الغروب

منالك حيث نعل الاماني

فلايها وتنام الطيوب .

فمتى كان في الشعر العربي ، قبل هذا القول ، مساء بناجي ويعيون تنام كما ينام البشر ؟ بل متى كان للسهى دموع ، ولغروب دماء ، وللأمانى غذائي ؟

ثم كان ان عصرت ندوة الادب اللبناني في الربع الثاني من هذا القرن بتلامذة اديب مظهر في الشعر والتثر ، ومن وراله معلوم هو ، اعني امثال الجبر سامان وبودولت ورامبو وملازمه حتى الانتهاء بفاليري . فاذا بهذا الانحياز الجديد يطنى على الادب اللبناني ويطنعه بطابع عرف به بين آداب سائر اقطار العالم العربي . وليس من شك في انه اطلع شعراء وكتابا لبنانيين تعدى اهرم حدود لبنان الى كل بلد ناطق بالفساد . ولكنه عجز ، كسواه من الانحيازات اللبنانية الحديثة ، عن اطلاع شاعر او كاتب عالي واحد ، يندون استثناء جبران .

هذه هي ، بآباجر اتجاهات الادب اللبناني في الوقت الحاضر . بقي ان نقول ان هذه الانحيازات انها ، بالقياس الى ما يرحر به العالم المتحضر من اتجاهات معاصرة ، قد اصبحت وراء التاريخ بنصف قرن . فإين نحن الآن مثلا من واقعية اودن ولويس مكايس ، او رمزية وتصويرية عزرا بوند وت.اس. اليوت ، او سريالية اديث سينوبل ودلان طوماس . واين نحن في التثر من وجودية سارتر وكامي ، او واقعية همنغواي وفولكر ، او سريالية تنسي ولويس وترومان كايوتي ؟ فكأنما الادباء اللبنانيون عاثشون في غير هذا الجيل ، او كأنما هذا الجيل بمشكلاته وتساؤلاته والاضطراب المعيقة به لا سدى لها منهم . فهم لا يطالعون بعالم نظر ولا يفسدون بمسؤولية وتعمق . وهم فوق ذلك لا يعيشون حياة الادب ولا يكرسون جهودهم له . فتراه دائما بالنسبة الى مشاغلهم الشخصية والاجتماعية على الهامش . ومن كانت هذه حاله ، هيئات ان يقوى على انتفاض العالي اليكر ، او ان يصير على ترويض العسير الشاق ، او ان يقنع بشير الزائع الكميل .

على ان توقف الادب اللبناني عند هذه الانحيازات الاربعة لا يولم طويلا . فمجرد التحسس به الان ابدان بانطلاقة جديدة نحو اتجاه جديد - اتجاه يتجاوب مع واقع الحياة الصاخبة ومعانيها العنيفة الزاخرة ، وبصراع مشكلات الانسان الحاضر ، ويتفاعل مع اتجاهات سائر ادب العالم المتحضر ، وبمى مشكلة الازدواجية القائمة في اللغة وعيا يضع حدا لها ، ويخلق اسلوبا جديدا للتعبير الصادق الحي .

يوسف الخال

قبيـه



والنوافذ صنعت لا لتصد
الهواء والقمر
والجلعنات
وأنياب الضباع ،
والقلب حديد ، ولكنه للرصاص
والجلعنات والأنياب
أوهى من الخشب

*

ذراع فاطمة حول حسن
وحسن تفسخ من الدم
وأبو حسن لم يبق منه
الا قنزاع من خرقة
ابشوا تحت الحجارة عنهم
ولجسوا الذراع الى الجسد .

*

القمح زرعه لا لنحصد
والمناقيد سقيناها لا لنشرب
ونوار البرتقال عبثا عطّر ليلنا ،
ودمنا في التربة الحمراء
وعلى الصخور ،
وأيدينا ابشوا عنها تحت جفافل
النمل .

*

رصاص
يصك الحجر
وجلعنات
والليل يتولى مزقا
بين اشجار الزيتون ودوالي العنب .

يفداد جيرا ابراهيم جيرا

رصاص
في مقر الليل
عبر التلة ، عبر الطريق ،
على الجدران يسطك ويقرع ،
خلال الابواب والنوافذ يطلب
القلوب والامعاء ،
رصاص
من وراء الحجارة ، من على الانطح ،
عبر الطرقات ، من وراء اكياس
الرمال ،

من النوافذ المياء ، رصاص
يتثر رياحين الدم في الحجرات
يلصق زخارف منه على كل حائط ،
رصاص وجلعنات
يقذف بالجثث الى أنياب الضباع .

*

القمح زرعه لا لنحصد
والمناقيد سقيناها لا لنشرب
ونوار البرتقال عبثا عطّر ليلنا ،
ودمنا في التربة الحمراء
وعلى الصخور ،
وأيدينا ابشوا عنها تحت جفافل
النمل .

*

اغلقوا الابواب
احكموا النوافذ
صدوا القمر
امنوا الليل ،
ولكن الابواب من خشب ،

اقوى من الموت

بقلم محمود السمرة



بهم البشر ، رغم حب امنا الارض ، وجودها بالمعاط . لقد جربوا التشرد والاقامة بين من يضيقون بكفاهمهم وغرورهم فمروا قيمة الوطن ، محبا للانسان ، لا يدرك حقائق الامور الا بعد فوات الاوان ... طافت هذه الخواطر وامثالها في ذهن ممدوح ، قبل ان يعود بانكره الى الفتاة المنتظرة ، ليتناول القعد فيضسه في صندوق لطيف يربط عليه شريطا اخضر ، ثم يناوله لها :

— احرصي عليه ، وايكده ان تضميمي في الطريق .
— اطمن .

وابتمت في وجهه ، ثم جرت خراجه من الباب . وراقبها من خلال الزجاج وهي تخفي من امام عينيه ، وباختفائها اذحمت مخيلته بالافكار المتلاحقة . ان شيئا في (امل) هذه قد اثلر فيه كوامن اشجانه ، وتكا آلام جراح قد اوشكت ان تندمل ... عينها الخضراوان خضرة مروج بلده تصورها التي تنسب سنايل القمع المسح فيها ، ذكرته بسنوات قريبة مضت كان فيها يحب فتاة وهبها كل مساهمة الطيبة من حب واخلاص وتفان ... العينان الخضراوان خضرة الارض التي قابل فتاته في الطريق اليها ذات ربيع جميل ، والشمراقتي غنى سنايل القمع التي كتبا بسمان اليها بعد ان خطبها لنفسه . واخذها بعدن العدة لبناء بيت الزوجية السعيد ، ولكنها خرجت ذات صباح من عام ١٩٤٨ لحاجة لها ، ولم تعد . لقد ذهبت بالصبيبة الراحلة رصاصة غادرة ، لا يتورع الاعداء الجبناء من تصويرها الى صدر فتاة جميلة بريئة . وجاهد لانتقام الوطن والحبيبة ، فاحتسب لهما يمناه التي اتفجرت بها قبله ما كان يصنع ، وهو المسترخ في سبيلها حياته . ثم اخرج نفسه

قامتها الصغيرة ، وكانها قررت امرا ، لم اتجهت نحو الباب ، وما ان فتحتة حتى رفع ممدوح عينيه ليصافحهما منظر الفتاة الصغيرة ، وقد وضعت يديها على طاولته :

— اتسمح لي برؤية القعد ذي الخرزات الخضراء ؟
فمد يده اليسرى ، وفتح الباب الزجاجي ، واخرج القعد ، ووضع امام الصبية الصغيرة . وكان ممن الواضح انه قد امججها ، اذ كتشت تستطيع ان تقرأ السرور مزوجا بالاعجاب مخطوطتين على وجهها . وسرعا ما ارحب قبضتها المندودة على منديلها الصغير ، وفكته ، ثم التفت ما قبله على الطاولة ، وطلبت منه بقية .
اطمئنانا ان يطفأ لها القعد .
وتلقت بمراد الى حفرة القويوش الملقاة امامه ، والى جانب يوحى . ولكنه اخبر بيمني الصبية الخضراوان البريئين تفزانه وخزا مؤلما ، فتتكأ في نفسه جرحا كان قد اوشك ان يلتئم ، فعادو النظر اليها ، محدقا في عينيها ووجهها وكأنه يعلم .. في امر بعيد ؟
— ما امسك ؟
— امل

— ولين تريد ان تشتري القعد ؟
— لاخيتي التي تكبرني ، والنسي تحبني اكثر من نور عينيها ، وفلسدا عيد ميلادها ، واحب ان اهديها شيئا .
وعرف منها ان هائلتها تركت لتلدها فيمن ترك ، زادهم في هذا الاسأل العراض . وحطت بها الاقدار في هذا البلد . وفيه فقدت والدتها ثم والدها وتزوجت اختها من ابن عمها ، لاجره مثلها ، وهي الان في رعايتها . اما اقرارها الآخرون فعمتها في بيروت ، وابناء عمها في مصر وخالها في الكويت و...
قصته الاثاف من ابتناء هذا الشعب الذي شرد تحت كل كوكب ، فضاقت

من الخير ان اخفي الاسماء الحقيقية لابطال هذه القصة ومكانها ، حتى لا اسبب لهم حرجا ، كما ان القاري العزيز لن يخسر شيئا بهذا التكتام . ويكفي القول بانها حدثت في مكان ما من هذا العالم العربي ، الذي يعيش فيه مليون مشرد فقدوا كل شيء .

التي ممدوح عصا الترحال ، واستقر بمدينة (ن) ، بعد ان اخرجته القزح من بلده وحيدا ، لا يملك غير بضعة مئات من الحنيثات لا يلدي كيف استطاع ان ينجو بها ، وهو على كل احسن حالا من كثيرين غيره لم ينجوا ببنى سوى الاطفال والنساء والمسؤوليات والفقر ... وهنا افتتح له دكانا يبيع فيه ما رخص وغلا للنساء والفتيات . ودكانه حديثة العهد ، بدأ بها بعد الهجرة بثلاث سنوات ، بعد ان تأكد ان يعود لا تعيد وطنه سلب ، وبعد ان علمته التجارب المرة صدق المثل الذي حفظه كالبغاة في مدرسته القديمة « ما حك جلدك مثل ظفرك » . وهاشي ممدوح حياته الخاصة في عزلة وعزوف من الناس ، شأن من يخفون في نفوسهم اسراراً لو اكتشفت لغات ما تدمع اخيلة القصصيين .

وكان ذات صباح من ايام شتاء قارس البرد ، عندما وقفت بنينة صغيرة لا تعدو الثانية عشرة ، محمقة في واجهة دكانه ، وقد الصقت جبينها بالزجاج ، وعينها الخضراوان الجميلتان تبحثان عن شيء معين بين المجموعة المعروضة : خواتم ، واقراط ، وعقود ... كلها صناعية ، ومناديل ، ومطهر ، وملابس نسائية ... وكانت بين العين والآخر تدق الارض بقدميهما الصغيرتين ، وكانها تحاول ان تطرد منهما البرد القاسي الذي لا يرحم بشرتها الرقيقة . واخيرا نصبت

عيون

○

عيونك أنشودة بإيمانها الناعم
أحس ابتلالها على ثفري الباسم
فأشرد غير المدى مع النغم الهائم
كأني في زورق يبحر السنى عائم
أردد لمن الهوى وبني حيرة الواجم
كساها الاله جمالا من الازل القاتم
وكحلل أعطافها بمروده العالم
وارسلها فتنة الى العاشق الساهم
فجئت ليالي الهوى على القاهر الجاثم

مصطفى محمود
من أسرة الجبل الظم

حدث هذا منذ خمس سنوات ،
وامس وصلت الي رسالة من صديقي
ممدوح ، وهو الذي لا يكتب لاحد ،
كلها بهجة وسرور ، يذكر لي فيها
ان غرضه من الكتابة الي هو ان
يشترني بخطبته لامل ، وان الزواج
سيتم في منتصف مايو ... لا
تمجب ، يا صديقي ، فان الحب اقوى
حتى من الموت فقد كنت ميتا ،
فامدنتي عيناها الى الحياة .. الحياة
المليئة بالامال والاعمال . لقد قررنا ان
تنزوج في اليوم الذي شهد ماساتنا
وعارنا ، لننجب ولدا بل فرقة من
الاولاد يكبرون ، ويتعلمون ، ليصبحوا
فيما بعد جنودا في الحرس الوطني ،
يحتفلون في منتصف مايو من عام
آت بعيدين : عودة الفردوس المفقود ،
وذكرى حب اقوى من الموت ... »

محمود السمره الكويت

نرفع راسه اليها ، ونظر في
عينيها بلطف ورقة ، ثم هز راسه .
- وهل تذكر لمن بعته ؟
- بالتأكيد ، يا سيدي . لقد
اشترته اخذك لتقدمه لك يوم عيد
ميلادك .
- وكم يسوى ؟
- مضت بركة ، ثم اجاب بصوت
جدا :
- جنينين ! ومن اين ائت لك امل
بهما ؟
- فاطرق براسه ، ثم تناول القعد ،
ولفه كما كان ، واعاده السيدة قائلا :
- لقد دفعت لي شقيقك ، يسا
سيدي ، اثنى ما يدفعه انسان ...
دفعت لي كل ما تملك . ودان صمت
على جو الدكان الصغير .. وكان في
عيني السيدة حيرة ، وعلى وجهه
بتظنة وعودة الحياة ، وامل ، ورغبة
في العمل ...

المأمرات فيمن اخرجت ، وعاش في
وحدته آملا ان يعود لبيته وذكرى
حبه ، ولكن الاعوام تمر ، والامال
تبهت ، والوحدة القاتلة تملك عليه
خناقه ، وهو بعد لم يزل في نهاية
العقد الثالث ، من الامال الكبار ...
لا مؤنس له في ليالي الطويلة غير
اجترار ذكرى الدنيا العريضة التي
فقدوها . ويخرجه من تأملاته دخول
نوبة ، يرهقنه بطلبانين ، ومساومتين ،
وصباحين ...
وحل المساء ، واستعمل لاقبلاق
الدكان ، عندما اقتحمته عليه شابة لا
يذكر متى ولا اين رآها قبل الان ، ثم
عرف العيسين الخفراوين خضرة
الكرمل في الربيع ، والشعر الفني في
سنايل حي الريتون . ودون ان تتكلم
تناولت من محفظتها عقدا خزائمه
خضر ، ومعه شريط اخضر وضعتهما
امامه :
- هل هذا القعد من ذكائك ؟

همسة الى الجامعة

للآنسة هبة الوادي



وهذا الذي يحمل دون الناس الفاضل الحياة واسرارها
في ادعاه وصفق !

وهذا المنتقد الضاحك الذي يدرج في ايام تكتسحها
اضواء الافراح !

قواعد يبتني الفوز بالحق والعمل ! واخر يعتمد على
القدر مقتنعا وراضيا !

وجميعهم امام يحرك العظم ، ينقلب تفكيرهم شعورا ،
وتنسحق ارواحهم ازاء عجبك الراقص الهامة بين الغيوم
والثلوج ! جميعهم يا حامية دمار الجمال يتساءلون كيف
تتمثل فيك معاني الحياة الواجبة ؟ وكيف تنشر خيوط
الشمس في اتحائك خيالات الوجد والسناء ؟ كيف تفعل
ذلك في اشد الفصول جهامة ؟

كل ما فيك جليل ابتها الجامعة ، غير ان هناك ما هو
اشد جلالا ، هناك ذلك الشعور بالتساؤل والغناء امام موكب
القطعة ممن نقشوا وجه الحياة بميسم البقاء والخلود ،
حيث يكون الفصحى ازاهم صمتا وخشوعا ، وحيث يستمر
الننى في العيون الغنية الطامحة لان تقف على آلال المجد
والسؤدد .

ان الزمان فيك يتابع مسيره ، وتربتك المنخفضة
بالشدى تلاشى يد الدهر وتدوسها بقدم طافية ، وكل من
مر عليك من الناس متتابع متواصل ، وحتى الحطبات
الشجيرة والساعات المضيئة هي هي معادة في كل سنة من
سنوات العديبات ، انما انت العظيمة التي تكتفى على مرق
البقاء ، ولا تحفظ في صدها من الذكرى غير ما ابتهج
بسناء الفكر .

عندما يكون بين ابنائك السيد الذي يسم له الدنيا
ويسمى بالخط في جميع شؤونه ، ويكون الغيوب الذي
تمزق نفسه الاثراوات والطام ، فذا يكون الصالح والطالح
والمسال والشريه متساوين امام ما سوف تلقى به الحياة
من الاختارات والمواقف والانفعالات .

غدا يروع اقدمهم يؤس هذا الشرق ، فيستأهل مندا
الذي ظلمه وافقره وعراه اذله ؟ ولا يلبث التساؤل ان يصير
شعورا وينقلب الشعور تجلدا فثباتا لمجدا .

وغدا يذهل الاخر ما يحول في النفس البشرية ، مما
يسعدنا ويعذبنا ، فيبحث عن الغاية التي من أجلها
وجدت ، وقد يقوم من يجد في نفسه استعدادا لجنسي
حضارة العالم متعبا ، ويعمد من تعذبه الروحانية الحارة
الى الشفق بالدين ، وسوف يكون هناك من يصدر طربا
وينتشي ظفرا ، ومن يردد الناس اسمه ترنما ، وهناك
من سوف تشده الارض اليها بولاق ، وتضع حول عنقه
قيود العبد .

سوف تجاني الحياة بناهك ابتها الجامعة ! سوف
تسود صحائف الهمر من ابيضت فيك صفحته ، وقصد
يصبح من كان فيك عبد الواجب عبدا لاهواه ، او قصد
تغلب دلائل الشهامة على من وجدت منه تخاذلا ، وبسطم
الاسم المفقود الذي عاش في كنفك فيصير نرباسا هاديا .
كل ذلك من اجل أن تعنف الحياة فراستك وتناقض بمنطقها
منطلق ، من اجل ان تبقى وحدها صاحبة الجزم والنهي
في ابنائها ، وتستنشق الغالية متمتعة دون غيرها بالكفاءة
والنبوغ .

سلاما
فيه المرء ابجدية الواجب والصمود ! كم ذا تشب
فيك الآراء والنزعات على أسس متينة من الحرية والابتكار ،
فيتصل بنوك بلغة التفاهم الروحي وتجلي غيوم جهلهم
وتبدهم ، وتطرب ارواحهم بمسمة امام مرآة الحقيقة
التي لا تعرف الانعكاس في غير أعماق الجنان !

بين جدرانك الحليمة تصني السامع الى الاصوات
القضية التي تنبه التوق الى الانطلاق ، وتفتح آفاق المشاهد
بين اودية العالم ، حيث تتناسق الافكار العظيمة ممتدة بين
أبراج العزة المنوية التي تغتفل في ثنايا القلوب ! وفي
أروقتك المسحة تتقارب غرائب الوجود وتوسمك
تيها كلما شهدت الانخراط المائل في أمين تملأها المعرفة
والساعا ، فلا تجردين لحظة من الشعور بالتمعة الفنية التي
يوفرها الشغف بصنوف العلم .

انت التي يوسمك ان ترتقي تولد النفوس المريزة ،
وهي تودع حداثتها نامية في حلة تشبه من المسيح
والآدراك ، وفي أعطافك الكبيرة تملأ الاخيصة وتوطئ
وتتبادع الافكار وتتلاقى ، وكأمواج البحر الخاضع عند
قديمك ، ترغي النفوس وتزبد ، وتكتنفها الدوران الحامجة
المساكنة ابدًا طريقا واحدا ، حيث لا همسة غير همسك
المرددة : ان المبودية مقت والتبرد نبيل . بينك الهادئة
تنظيرين تدمر الضعيف واتصلر اقوي وتواكل الطفيلي ،
وانت واحدة الهيئة امام التهليل والاثين والاسترحام ،
والقدرة الخفية منك لا تنفك ملقية على كل عائق حملا
مبدية ملامحها في تلك الشخصية العامة التي بفرق نسي
قوتها كل مجز وتخاذل .

يا ناشرة النور المتدفق في ربوع الشرق ، يا هسلة
التباعدة الملوثة مهابة وجلا ، كيف تحجين أقران الخلود
في خفاياك ؟ وكيف تملعين أبناء الحياة لذليل الصمباب
وتضعين في صدورهم النفوس القوية الجميلة ؟ بل ماذا
توحيين اليهم حتى ليتمنوا ان يجرحوا وتسيل دماؤهم في
عراك الحياة الشريفة ، وكان صورة الواقع المهمل الكثيب لا
تعرف طريقا الى الخيلة المشبوبة والعزيمة الشهمة !

بين جدرانك السامية تستيقظ الاحلام محقة في عالم
الروعة والبهاء ، فلو نطقت الستنها لكان هناك جميع اصناف
الناس ، لكان الخامل والناهب والمتفائل والظفر ، وذو النفس
الابية وذو الشخصية العادية ، تنشرين يديك على هياتهم
جميعا سمات الذكاء والتوازن .

هوذا الحالم في زاوية من زواياك بين همسه وتخليه ،
كان في روحه صباة وانتماعا !
وهوذا الذي لا يمشي الا قابضا قلبه بيده من هم
وقلق !

دافنشي العالم الفنان

بقلم جورج دوبلي



ونشأ الفتى في ضيعة الأسرة قرب فلورنسا ، وتحلى بذلك الزيف الجميل حتى انظمت على صدره اشجار الصنوبر والجدول التوتية والتجود الحالة والازهار البرية ، لتبرز فيما بعد في تلك الدرر الخالدة من المناظر التي زين بها رسومه .

ولم يكن يؤذن له في ان يعرف امه ، لذلك استعان من الحنان والعطف اللذين كان سيجدهما في احضان امه ، استعاض عنها بالتجوال بين احضان الطبيعة منم الكبري . واطلع والده على اول صورة له فرأى من خلالها عبقرة كائنة ، فوكبها بشخصا يدعى « فيروكو » كان ملما بكثير من الفنون ، كالصنوبر والنحت والموسيقى والهندسة والتاريخ الطبيعي ، اقتبسها « ليوناردو » كلها واصبح فيما بعد استاذاً فيها .

وكان « ليوناردو » يماشي اعلام الرياضيين والفلكيين حيث يلتهم كل ما عندهم من علم ، فدرس علوم الفلكية والطبيعة والتشريع ، لا على انها زيادة على فنه ، بل على انها جزء منه . فهو لا يرى فرقا جوهريا بين العلم والفن ، فكلاهما عنده أداة لوصف هذا الكون الذي خلقه الله .

وتتجلى عظمة « دافنشي العالم » في التاريخ الطبيعى ، حيث شرح الكثير مما لم نعرفه سوى منذ وقت قريب ، وحيث بين بان العين عدسة ، والقلب شبه مضخة ماء ، وان النبض مطابق لقرربات القلب ، وكثير من الاشياء كان قد عرفها وابتها قبل اربعمئة عام من معرفة العلماء لها .

وكان « دافنشي » في العلوم العسكرية عليما بكل مثالبها ، حيث كان يستطيع صنع مدافع مؤلف من ٢٢ ماسورة ، تنطلق كل احدى عشرة دفعة واحدة . وحيث عرف صنع القنابل المحرقة والبدوية ، ووضع تصميم لاسبال القناطر ، كما احرع الهندسية الحديثة ، وحاول غزو الهواء فوضع تصميمًا لآلة طائرة اشبه بالقراصة ، وحاول الطيران مرة بطائرة شراعية كان قد صنعها بعمره وكتم شديدتين ولكنه اخفق ، فلم يحاول مرة اخرى ١٠٠ . وابتكر جهاز القوس وحزام النجاة ، ووضع تصميمًا لقواصة كبيرة ثم اتلفه « خوفًا من ضرر القواصة » ١٠٠ .

وكان دافنشي قد اعتدى قبل زمن « جاليليو » بقرن الى ان الارض ليست مركز الكون ، وانما تدور حول الشمس في مدار بيضاوي ، وان الارض ما هي الا كوكب صغير بالنسبة للنجوم ، وان النجوم « عوالم بعيدة » وهي اكبر جدا مما تبدو ، وان الشمس ليست الا احدها .

بل لقد اعتدى الى النظرية القرية للمادة حيث يقول « سيخرج من جوف الارض ذلك الذي سيذهل ليهول انفجاره كل القرنين منه ، ويقع الناس موتى من انفاسه ، وتسحق المدن والقصور » ١٠٠ .

هذا ما عرفناه بالنسبة « دافنشي العالم » ، اما بالنسبة اليه كمتفكر ، فقد كان كذلك بهذه القوة الجبارة والعظيمة الخالدة على مر العصور ، هذه العظيمة التي بقيت وستبقى طلائعها في حي وفنانون احياء .

كانت صور « دافنشي » تعبر من نفسية فنان يعشق الحياة ويبغدها ، ويظهر ذلك جليا عند تقليب صفحات رسومه العديدة حيث يصور كل نوع وكل جزء من انواع واجزاء هذه الحياة . فهنا ملاعب فتاة وكافة تلمي ، وهنا يرسم القلق العصبي كما يتبدى في عنق صعلوك معروف ، وهناك يصور مرح طفل يلعب ١٠٠ . ومئات من الرسوم التي

كانت النهضة الاوربية عبارة عن ازدهار عظيم في الاداب والفنون ، وانتقال هائل في نواحي الحياة الفكرية والفنية ، وكانت آية يمت أو ميلاد جديد شمل جميع مرامق الحياة في القارة الاوربية وخاصة في ايطاليا . ازدهرت الفنون في ايطاليا بشكل لم نعهده منذ العصور القديمة . فبحث رجال الفن عن الجمال في النحت والرسم بحثا دقيقا ، وازدادت اهميتهم واشهر امرهم حين اخذ امراء ايطاليا مثل « مدينشي » يكرومونهم . وقد انتج الفن الايطالي ما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر الذين اتبعتهما ايطاليا ثلاثة هم « ليوناردو دافنشي » عددا كبيرا من روائع الفن ، وكان اشهر ابطال هذه الروائع و « ميكيل أنجلو » و « رافائل » ، فكانوا عمدة نهضتها الفنية .

وجد « دافنشي » في هذا العصر حيث كان الصراع الفكري القديم والحديث قائما على قدم وساق ، وحيث كانت رجعية الاقدمين تسيطر على عقول اغلب افراد المجتمع حينذاك ، تلك الرجعية التي كان الصال سحلا بينها وبين عصر النهضة ، تلك الرجعية التي كان ينفذها كل من السلطة الاقطاعية والنزعة الدينية اللتين كانتا تعلمان جاهدتين الحيلولة دون امتداد ذلك النور الجديد والقيس الساطع الذي طغى وشعر كل ما حوله من الارصاد القديمة والآنية .

قلنا وجد « ليوناردو » في هذا العصر ، وكان قد ولد من ابوين غير متكافئين ، من ام فلاحية واب محاسب ، فتناوت الطبيعة الرجل والمرأة بيدها الصناعات وصقلت آبنها الكبرى ، فكان ليوناردو ١٠٠٠ . ولكن ولدا الاب اراد ان يحول دون زواجه من تلك الفلاحة الوضيعة التسيب ، فعمل على تزويجه من فتاة من أسرة كريمة ، فاضطر الاب ان يشتري ابنة - وكانت هذه عادة مالوفة في زمانه - الذي هو ثمرة الحب من امه ، ويعترف بابوه له !

سوف يتدفق ابتناؤك في سيول الحياة متشعبين بين جلايد قاسية وانحدارات ومرة ، وعندئذ سيلجأون اليك الى تلك الطاعة المرنّة التي يسكب العلم قلبا منها في كل نفس ، فتكون لهم البسمة الذكية فيهمش مشامير العطف والريانة ، واحملهم اليهم صورة الامل المتجدد ، فتمسكهم استمد الابناء قوى التصرير والارادة ، وانت وحدهم التسي مثلت لهم جناحي نسر ملحق في بعيد المدى .

وهذا عار بنيك اذا ما اكبرك احدهم وحمل منك في مسعاه نداء كاتفريد حلوة ، واذا ما توغلت مثاليك في انحاء النفس واحالت خدلاها فوزا وضعفها قسوة وصحرها المجدبة واحة الواحات !!

هبة الوادي

الجماعة الأمريكية يسيرت

خيط من الدمع

بقلم عادل ابو شنبه



الوجه مختفئة بالالام المكبوت ،
والزقاق قصير ، والاسماء
غريبة !

وجدناه .. كان بعبنا ، اما كنت
تعبنا ؟ وقام يأخذ الآف يصاصها ،
نحن نعرف ان توددك غريب ، يلا
ظلال ، وان الاشياء التي تخفي نموها
قد علمتكم كيف تخاف الناس ، وكيف
تاخذ الاكف .. تصافحها في حرارة
مفتلة ، وكان رائحة الشاي الذي
قدمته .. لم تنسنا شيئا ، والتمسا
نبيتنا الى كل شيء ..

انا ، لم اركو ولم ار وجهك اول الامر ،
ولكنها رايك وقالت لي همسا :
- امران تنظرانه ..

وكانت الرائحة مفرقة ، الصبيتان
المتطيرتان غائرتي الوجنت ، ياديتي
الحنافة ، وكنت لا تقوى على ان تقول :

الكثير ، لانهم يتهاقن عليك ، يردن لو
تفعل سريرا من اجلهن . ومرت
بجانبك ، قدست في وراحتك شيئا ،
واخذته مساوما :

- بل مائة ليرة .

- كثير ..

- المضيحة اكثر !

وجفلت الاهداب الثقلة بالواجس
السوداء ، ثم تكاثفت علامة الاستسلام
ولا شيء غير التسليم !

وجاء دور احدى الصبيتين ، وكان
يلطمئنها ، وان بدت في عينيها اشياء
ثقلة ، لم يمكها من الخروج انشغاله
في مزج القواء المرتبك .

ودفع ليها بقدرتي من الشاي
الساخن وهو يقول :
- ربع ساعة فقط ، ولا شيء
يستحق الدموع !

وما تكلمت ، ان لساني ينكمش
دائما من الاشياء الساخنة ، والشاي
الساخن ، ولكن كلماتها كانت تخمرت
في راسي اشد سخونة ، واكثر
تعقيدا ..

ورحت انظر الى وجهها الحزين
الكفور .. الحلو ..
كانت قالت لي :

- اليك ما فلتت .. وسبعية
شهور باقية لي تطول ، وسوف
تظهر على حقيقتك !

ولقد كنت نظرت الى موضوع معين
من جسدها .. فما رايت شيئا ،
واما خيل الي ان انسانا جديدا
يتكون ، وان الوجه قد اكتمل ، ولم
الاتسامة البريئة ليدها في كلمة
صغيرة :
- بابا !

نبيلة من اهل فلورنسا تدعى « ليوا جيراردني » وقد
رسمها في ثياب سوداء لانها كانت حورية على ولدها
المتوفي من عهد قريب . وكانت « موننا ليوا » - كما
يُدعونها - في الحادية والعشرين حين بدأ ليوناردو يصورها
وانتها بعد ستة اعوام . وهي اشيء ببعض من كان يعلم
بهن في يقطعه منها بمرآة حقيقية ، وهي تبسم ابتسامة
غامضة تحوي معان مختلفة لا تدري ما يريد منها ، فقد
رسمها واظهر فيها كل ما تحويه النفس الانسانية من
عواطف عميقة ، من حنان ولطف وقداسة وغموض وثقة
وسخرية .

واخيرا كان « ليوناردو دافنشي » يتمتع بشهرة قليلة
بالنسبة لعلمه الفزير ، وذلك لعدم وجود الأشخاص الذين
يعرفون بهذه العلوم في عصره ذلك ، اذ كانوا يسخرون منه
حين يسمونه يتكلم من مشاريعه - الخيالية - ولكنه كان
يتمتع بشهرة سامية جدا بين رجال الفن ، مع انه لم يكن
قليل المناقشين حينذاك اذ كان معاصرا ليويتشلي ورافاييل
وميكيل انجلو جبارة الفن في ذلك العصر الذهبي .

تصور نفسية كل فرد في هذه الحياة ، اذ ان دافنشي لم
يكن يهتم باظهار شكل الشخص الذي يظهره في رسوماته
يقدر اهتمامه باظهار نفسية هذا الشخص واظهار العوامل
التي تختلج بين اعطافه .

لقد صور (ليوناردو) الحياة ورسمها بمئات الرسوم ،
صورها بكل ما فيها من افراح واحزان ، من قوة وضعف ،
من جمال وقبح ، رسمها بكل ما فيها من عظمة وكسال
وبساطة وتقصى ، رسمها بكل ما فيها من فناء وخلود .

لقد رسم المئات من الرسوم ، كان اعظمها تلك الصورة
المسماة « العشاء الاخير » والتي رسمها على جدار قاعة الطعام
في دير فوق ملاط لا يصلح الاوان ، فما اتقصت عشرون سنة
حتى كانت الرطوبة قد سرت فيها ، وحتى كان التعفن وتفسد
الجدار قد شوها الصورة ، ثم شق فيما بعد باب في الجدار
بلا اكتراث للرسم . وقد اشتغل الكثيرون بإعادة الصورة
الى ما كانت عليه ، ولولا ذلك لما استطعنا ان نعرف بايصة
عاطفة كون ليوناردو فكرة العشاء وكيف أبرزها .

وهناك صورة اخرى ايضا رسمها ليوناردو في اواخر
حياته تعد من اروع الصور التي وجدت وستوجد في
هذا العالم الا وهي « الجيوكوندا » . وهي صورة لسيدة

جورج دوليتسي

دمشق

وشمّلني قبض من الخوف
الفاجيء .. أن اكون أباً ، فذلك
ما لم يكن ليخطر على بال ، وغير ذلك
فهي تتوجع .. وأشياء جديدة تضغط
على جدران معدتها !
وهمست وجلا :

— اتمررين أحدا ؟

وكانت تصرف — لا أدري كيف
تعرف — لأنها اخلدني السي رقائق
قصير .. وسخ ، وضغطت بسبابتها
على جرس البيت الأخير .. جرس
بيتك .

ودبت الطمانينة في اصصاي عندما
دخلت ، وإن كنت قد تشنجت من
التفكير في البطن المكور الذي سينطفئ
وفي صدرك الذي سيضم سرا آخر ،
لو أتبع له أن يفتضح ويضم صلي
أفواه الناس لكان أسما جميلا لطفل
رائع .. كامل .

وبدا لي وجهك ناقصا غير مكتمل ،
وفرحت لأنني تصورت لك عذائسا
كثيرا .. لا يحتمل ، حتى تمتلكك
تقوم في حلقة الليل مدعورا صلي
أصوات ، لا تتبين صدمتها ، وإن
كنت تعرف أنها صادرة من بطون
قد عملت فيها .. كثيرا .

وكان يجلس إلى الجانب الآخر
امرأة صغيرة ، كينهاها واستعان ،

صدر هدئا من :

دار بيروت للطباعة والنشر

كان ما كان

لغالبيل نعيمه

طبعة رابعة جديدة متعقاة

الحراج اتيق ورق فلتر

السر صفلى ٢٠٠ غ.ل.

وكنت اتلف الى أن اقول لها شيئا ،
ذلك لأن اللب يعمل حثيثا فسي
دماغي ، ولأن الشفاء الدقيقة التي
تخلت أنها همس :

— بابا .. بابا !

قد كبرت في عصبة تفكيري
فاستحالت لي أشياء غليظة تنهش
من العضلة الصغيرة التي ما زالت
تنبض في جنبي الأيسر ..

وسالت المرأة :

— ستفعلن أيضا ؟

فاجابت :

— فعلت ذلك مرارا !

وركض تفكيري الى كومة اللحم
المجوفة .. المصبة بالدم الأسود ،
العينين والألف .. والجسد كله ، أما
كانت هذه الأشياء الدقيقة الصغيرة
تبدو رائحة لو كان القلب ينبض ؟

ووحدتني أمض شفتي .. ولكن
المرأة ذات العينين الواسعتين كانت
تضحك بسرعة وحيرة جنس أنها
قالت لي ، وهي تضحك :

— سمع .. قد أسميت اثنين قبل

أن استظهما !

وبصقت من الفرف غروران. كانت
الأساهة قد لوحظت في ذهني ،
كثيرة ، حلوة .. أما أجمل لأن أسميه
ليناديي الناس .

وقالت التي معي :

— اتني خالفة .. !

فاجابتها الأخرى — ذات العينين
الواسعتين :

— ما من خوف ...

وأخذ وجهها يقص علينا حكاية
الزوج الذي لا يحب الأولاد .

وخرجت الصبية الأخرى من
غرفت صفراء ، تلت بلسان متدل
كلسان كلب مسخور ، وقلت لها :

— سيقط خلال ساعات !

وحاولت أن تيسم ، ولكنك لم
تستطع ، فأوامت بأصبعك الى التي
معي ، تريد منها أن تدخل ..

وقامت .. ونراي لي خلال
خطواتها المتثاقلة خيط من الدمع ،
مسفوح ، وتخلت الجندي الذي
سيستطع كبيرا بين ذراعي ، يناديني :

— بابا .. بابا !

قلم أستطع إلا أن اسفح خيطا
معانلا من الدمع .

ووصلت التي باب غرفتك ،

فاستدارت ، كأنها تريدني أن اخترق
الحواجز فأرى الولد .. ولدي ، قبل
أن يموت ، وما عاش ليوم ، وهمت
لتقول لي :

— اتني أرضي بالهوان ، بالفضيحة
ولن أفرط فيه !

ولكنها لم تفعل ، وإنما وضعت
عينها في مني ..

لقد كانت عينها تغليان ، فأبيت
عيني في وجهها المريض ، ورحت
أحلق في كل جزء من أجزائه .

بعد لحظة واحدة ، استضيح
معالي التي زرعتها في هذه الصبية
الصغيرة الحلوة الشاحبة فهسسي
ستدخل ، وفيها شيء مني ، فيها
لوني .. وجهي .. استمرار تاريخي
لتلني بكل شيء في قمامة ملوثة ..
بدموعها أيضا .

ورأيتك تنظر إليها كمن يستجد
بها علي ، فالت تحب أن يمضي الأمر
بسرعة ، كي تكون الوطاة أقل صلي
صدرك ، وتثقت نظري الى الفرنسية
المليئة بالادوية .. المتفوح بابها صلي
مصرايمه .. أن هذه القرفة لسوف
تسهل ميتة جديدة عجيبة ، فتستمد
يداك الى تخفتني ، لتعطيني ميتتي
الأولى ، الميتة التي ستعذبني السي
الأبد ..

ورأيت شفتيها تختلجان .. أنها
تريد أن تقول شيئا ، فضغطت على
ذراعها .. بقوة ورفعت رأسي
استعدادا لمجابهة الدنيا وإيهها
والإخلاق .. بما فعلت معها ، بابني
الذي لن تحقق نموه يدك المولتان ..
لقد بدا عصرا علي أن أحفر في
صدري قبراً صغيراً لطفل ، كان من
الممكن أن يكون له اسم جميل ، ولعب
وصوت رقيق يناديني به كل حين :

— بابا .. بابا !

فيضحك الأب .. أضحك أنا ،
وناهل بالقبليات على الوجه الصغير ،
حتى تفرار الأم الصغيرة الطليوة .

وخرجت ..
وهي ميتة الباب ، سمعنا المرأة

ذات العينين الواسعتين تقول لك :

— آه ، لو كان لي زوج مثله ..
يحب الأولاد !

دمشق عادل أبو شنب

الصديق



لك في اكشاف قلبي مريح
واستلاقت بحسب آفئانه
فانحتن حدبا عليه حينما
ثقلته وعلى مبسمها
علقت كما بكف ولقد
رتعت ذكراك في مغناه حينما
كصغير مدد للام يميننا
هتك الدمع لها السر الموصنا
بارق الآمال يغوي النافرننا
الصقت خذا بخد وجبيننا



ما حنايا الصدر الا معبد
وفؤادي تأسك في كهفه
كلما ذكراك في روعي سرت
فأصره الصدر اشفاقا على
أت لنن غامض في خاطري
وصلاة وقسم الحبلانها
كان في محرابه رسمك زونا
لا بني يرنو لمراك حينما
بعثت في أضلعي الوجد الدفيننا
كبد فجرها الداء عيوننا
ردده الروح في البلوى أئينا
أدمع أدمع من الوجد جفونا



لا تمد لي ذكريات ملؤها
لست ممن يحمل العقد اذا
أغفر الذنب وأغضي ظفري
وأجازي الشكر بالشكر اذا
ان أخ لم يرع عهدي سنهما
وقسا قلبي عليه حنقا
لم أزل التمس الصنح له
الأم المر ودع عنك الظنونا
عقني خل وخان الأقربونا
عن أخي ان صرم الجبل المتينا
أصبح التكران بين الناس ديننا
ومضى في غيه كالجاهليننا
بمد طول الصبر والحلم سنينا
وأغش القلب بالأعذار حينما



غير ان الدهر قد أخبرني
أشنع الأخصام من تأمنهم
ما ابتسام الناس الا شرك
خير اخوانك لو فتدتهم
وبدعواه لقد كان أميننا
فاحذر الناس ولا تأمن خدينا
حاكه الختل لقنص الغافليننا
دمعة تمحي عن القلب الشجوننا

عدنان مودم بك

بغريس

مدونهم رأس شمرا

بقلم محمد حاج حسين



عام ١٩٢٩ ، جاء العلامة الافرنسي الازري ، كلود شيفر ، ينقب في رأس شمرا ، التي تبعد بضعة كيلومترات عن مدينة اللاذقية ، فادت ابحاثه الجلية الى اكتشاف آكلر عظيمة ، دلت على ان هذه البقعة الهادئة ، عرفت منذ الفي سنة قبل المسيح ، ميناة كبيرة تدعى « اوغريت » وصلت الى اوج ازدهارها ، في منتصف القرن الرابع عشر ، قبل المسيح ، في عهد الملك تيكمد ، ثم دمرت الى الابد ، من جراء الزلازل والفتارات المتتالية ، التي شنها عليها ، غزاة جافاوا من الغرب والشمال ، من جرر ابيجه واليونان ، فمصفوا بها ، وقضوا على مجدها ، وزلزلوا اركانها ، مهجرها سكانها ، واصبحت يبابا خرابا حتى العصر الحديث فازيحبت اسرارها التسي تدفدغ النفس بامدب الالخان .

ان اكتشاف « اوغريت » المدينة الفينيقية البائدة ، في رأس شمرا ، لم يؤد ، الى وجود معالم المدينة وآكلرها وعلمايلها فحسب ، بل استطاع العالم شيفر ، ان يجد بقايا مكتبة ، عامرة بالشعر والفاني الملحي ، الذي يدور على اساطير الالهة وحياتها ، وهذه الروائع الشعرية ، كانت منقوشة على صحائف من الفخار ، الذي كان يحرق حتى يجهف ، ثم يكتبون عليه شعرهم .

وبعد جهد بليغ ، استطاع عالمان افرنسيان ، وآخر الماني ، ان يبتدوا الى حل رموز لغة رأس شمرا ، وتناولها علماء الآثار الغربيون ، بالبحث والدرسي ، وكثرت الكتب ، في شتى اللغات الاوربية ، تتحدث عن اوغريت وآكلرها وشعرها وحضارتها ، فكان كسبا رائعا لتاريخ الشعر القديم ، وحسبنا ان نشر الى ان العلماء يجمعون اليوم ، ان سكان اوغريت ، هم اول من اهتمت ، في العالم ، الى اكتشاف الابجدية الكاملة ، التي هي اساس حضارتنا .

كانت الرموز والاشارات ، المنقوشة ، على صحائف رأس شمرا ، تختلف عن جميع اللغات السامية ، التسي استطاع الباحثون معرفتها ، فوقفوا مشدوهين حائرين ، يحثون وينقبون ، وكان من العقول ، ان تظل هذه الكتابة معجولة ، لانها لغة بائدة ، لشعب منقرض ، ولم تكن بعض هذه الصحائف ، مترجمة الى لغات قديمة معروفة ، ليسهل اكتشافها ، غير ان داب العلماء الجاهد ، استطاع ان يغالب الصعاب ، ويغور بالثمرة ، فقد عمدوا الى مقارنتها باللغات السامية القديمة المعروفة ، وبعد لاي استغاثوا ان يعرفوا اشاراتها ، معرفة تامة ، فقد اقتصرمت العلامات المرسومة على صحائف الفخار والصلصال ، على ثلاثين علامة ، وهذا يدل على ان سكان « اوغريت » اهتموا الى ابجدية كاملة مؤلفة من ثلاثين حرفا .

وضح للباحثين ، ان لغة رأس شمرا ، هي احدي اللغات السامية ، التي تقترب قليلا من العبرية بيد ان

الحركات الصوتية فيها ، غير مشار اليها ، لذلك لا يعرف العلماء كيف تلفظ بالقبض ، رغم معرفتهم لها معرفة دقيقة .

وفي الملاحم التي سنحلها لك ، نلاحظ ان الشاعر ، سمي اله البحر باليم اويم ، واله النهر « نهر » واله الموت « موت » وهذه العاظ عربية ، ولا عجب في هذا لان اللغات السامية كلها مشتقة من اصل واحد ، وليس الفينيقيون ، سوى موجة عربية ، قدفتها الجزيرة العربية ، الى هذه السواحل الحائلة .

ان آكلر رأس شمرا المكتوبة ، تكشف عن شعر ملحي طويل النفس ، بعيد الفور ، يحدث فيه النزاع بين الالهة ، وتسمي فيه الاساطير ، تطير على اجنحة الخيال ، وقصد نشرت ترجمتها الى الافرنسية في مجلة « سوريا » التي تصدر في باريس ، منذ الجلد الثاني عشر ، عام ١٩٢١ ، ومنذ ذلك الحين ، أخذ العلماء يتناولونها بغوص وعمق ، حتى وصلت الكتب التي الفت من « اوغريت » الى بضع مئات في مختلف اللغات الاوربية ، ولا يزال الاستاذ كلود شيفر ، يواصل ابحاثه ، ليجد آكلرا جديدة . . فهو ياتي كل عام ، الى هذه البقعة ، ويمكث فيها شهرين ، يدرس وينقب ، ليعث هذه المدينة ، التي تغاغت فيها حياة كلها جدة ودي .

لم يصلنا شعر رأس شمرا كاملا ، فان كثيرا من المقاطع ، قد ضاعت ولكن الباقي منها ، تعطينا من اللحمة ، الفكرة الكاملة ، حتى يستطيع القاري ان يمتشي مع اللحمة في تسلسل منطقي ، ويستوعب احداثها المشرقة . .

ان شعر رأس شمرا ، خفيف فاس ، يتندر من التقديم السريع ، فهو لا يعرف الرقة والسهولة ، بل هو انشبه بسجود تلحجر ، وايبانه لا تتجاوز بنقعة القافية ، ويكتم ايقاعه على الاساق الموسيقي ، وكل بيتين منه ، يحلان ذات الفكرة ويضمان نفس المعنى ، ولكن التعبير يختلف من بيت لآخر . .

كان هذا الشعر ينشد عادة في الحافل والواسم الدينية ، حيث يحتفلون بذكريات المارك ، التي كانت تنشب بين الالهة . . وهو يرتقي الى القرن الرابع عشر قبل المسيح ، واغلب الظن ، انه لم يصل الينا ، كما نظم لأول مرة بل كان يعزبه بعض التغيير ، عندما ينشد في هذه الواوس . .

وهكذا . . قبل ان تحدث حروب تروادة ، التي اهتمت الشاعر هوميروس ملحيته الغالدين ، عرفت فينيقيا ، شعراء ملهمين ، خلقوا في دنيا الملاحم ، وهزوا المشاعر ، بغنائهم العذب ، وان الترجمة الحرفية لهذا الشعر الى اللغة العربية ، صعبة الارتفاع ، لا تعطي القاري فكرة منها ، والا جدى تلخيصها ، ليتسنى لنا استيعاب افكارها ومسار احداثها ، ومعرفة اساطير الالهة التي كان يمجدها سكان « اوغريت » وانتقل بك الان الى تلخيص اخذي هذه الملاحم .

الملك كريت :

ان ملحمة الملك كريت ، منقوشة على ثلاث لوحات من الطين الشوي ، وقد ضاع نصفها ، وهذا ما يجعل مهمة ترجمتها صعبة ، وقد بقي منها الف بيت ، تعطينا صورة متناسقة لاحداث هذه الملحمة الرائعة . .

للملك بابل : عندي الذهب الجم ، والفضة الوفرة ، واني بحاجة للشيء الذي لا املكه في بيتي ، وانت الوحيد الذي تستطيع ان تقدمه لي .. انه حفيدك ، ابنك ابنيك البكر التي تدعى هوريا الرقاقة كالالة انتات ، يرتقيها ونعومتها ، والحصانة الفئان ، كالالة اشتارني . ووافق الملك بابل على هذه الرقبة ، وبارك الزواج ، فجدل كريت ، لاستمتعاه بهذه الفادة ، التي تنفجر حسنا وتنش اغراء ..

وتراى الاله بعل ، للملك كريت وامره ان يذهب الى آل ، يتلمس مباركة لرواجه ، فيمنو كريت ، باسمه لارادة حاميه بعل ، ويقادر قصره الشامخ ، ليزور اباه آل ، ولم يجد مشقة في هذا اللقاء ، لان كبير الالهة ، خرج بدوره الى منتصف الطريق ، ليوفر الضاء الى ابنه كريت ، بناء على الدعوة التي تلقاها من الاله بعل ..

كان آل في مظهره النورانية ، واقفا يشع منه السنى ، يسلك بيده ، كاسا ، عندما دنا منه الملك كريت ، في اتاة وخشوع ، وباركه ثلاث مرات ، ثم قال بصوته الالهي : تزوج من المرأة ، التي اخترتها ، وادخلها السى بيتك ..

ثم اتاه ان زوجه ستضع سبعة او ثمانية ابناء ، ومثلهم بنات ، والابن البكر ، سيدعى ياسيب ، وسترضعه الالهان اشهرات واتات ..

وانتهى كبير الالهة من حديثه ، بعد ان تحدث عن اية الملك كريت الثامنة « شيتمنتات » التي سيمنها حقوق الابنة البكر ..

وبعد ان يارك كبير الالهة الملك للمرة الاخيرة ، انسحب شع عاشيته الالفة من مختلف الالهة ، الذين ذهبوا السى خيالهم ، فينتقلون بها في احلام رضية ..

وقدما رأى ابناء الملك كريت وبناته الثور ، كانت اهمهم تفهمهم لالهة وباركهم جديهم الالهة اشهرات ، التي كانت تحضر ميلادهم ..

وامر الملك كريت زوجه هوريا ، بان تعد مائدة هامة بالحموم القريضة ، فلبحت عددا ضخما من المواشى المكتنزة ، وفتحت جرة كبيرة من الخمرة المعتقة ، ثم دمت السمين ثورا والثمانين غزالا الثابمين لزوجهها ليدخلوا القصر ، وهفت بهم : قدموا قربانا على شرف ابيكم الملك كريت ..

ولم تله هذه القران والثيران ، سوى ابطل الملك الاشواش ، اطقت عليهم ، اسماء هذه الحيوانات على طريق الاستمارة ، فان الثمانين غزالا والسمين ثورا ، كانوا رؤساء القتال ، الذين يخضعون للملك كريت ..

وينتهي القسم الأول من الملحمة .. اما القسم الثاني ، فهو يتحدث عن سقوط الملك كريت ، واقول نجهه ، وذهب ربحه ..

ان ابناء الملك كريت ، وقد تزعروا وشبوا ، يحفون به فرحين ، يزجون له التهاني ، لاستطاعته الافلات ، من قبضة الموت ، ويبدو ان الملك ، قد تعرض للموت ، من جراء مرض عضال ، قد يري منه ، او زحمته احدثات ، كادت تؤدي به الى الانهابة .. كان الملك مزوها بانبائه اليايمين ، الذين تميزوا بالصياحة والرجاحة في العقل ، .. والفرحة القامرة تلهيه ، لنجوته من الموت ، الذي ففر فاه ، ليقيبه في اجماع

لم يكن الملك كريت الها ، رغم انحدره من كبير الالهة « آل » حائق الكون ، ورب الارباب والالهة اشهرات ، ولكنه لم يكن مجردا من اللوهمية ، ففيه قسم منها ، قد يكون ضئيلا ، ولهذا كانت زوجه امرأة كيتية اللسان ، تعيش مع الناس ، وتحتدم فيها الاهواء والمواقف ، كيتية البشر ، وهي حفيدة الملك بابل ، ملك بلاد اودم ، التي كانت مصابة للمملكة التي تبرع على عرشها الملك كريت ..

كان الملك كريت سعيدا في مملكته ، يرتع في نعماء عيش ، ومجد خضيل ، وظل فترة من الزمن ينعم في لالا السكينة والهناء ، حتى اخلت تنوائب عليه رؤى فائمة ، وتنفس عيشه افكار متوج بصور قاحمة ، يتضاض منها لما انه لم يرزق بالولد ، الذي يخلفه على عرشه الوطيد ، فكان هذا الحرمان ، يحرقه بنيرانه ، فيضرق الى ابيه ، آل اله الالهة وخالق الدنيا ، ان يرزقه بالابن ، الذي يعلى العرش ويرث المجد ..

وانجذب الملك كريت ، الى غوفته ، في قصره الباذخ وجنه الليل ، وانخرط في بكاه مديب ، يفتق القلب ، يرسل الزفرات الحارقة ، تنفس عنه هذه الكرب ، التي ترمضه ، حيرة ولوعة ، على الابن ، الذي يستطيع ان يرث مملكته .. الليالي الداجية ، واليالي الساطعة بالجوم ، والدير المجلو ، عرفت اساه ، ورثت لبواه ، فملكك لا ترقا له دمة ، يمزقه الياس ، ويبتل الى ابيه الاكبر آل ليسكب البلمس الشافي على كلومه الدامية ..

وفي ذات ليلة ، فدافية الجناح ، استغرق الملك كريت ، في نومة هيفة ، الى بكاه عنيف ، قرح اجفاته ، راي فيما يرى النائم ، كبير الالهة آل يرنو اليه ، مغترا من بسمة حالية ، ويحدثه حديثا مستقيفا ، ارباسماقة نهجا متشعبا بعيد الرعى ، ويصانته بانه سيرزق عليها ضخميا من الوفرة ..

ولما استيقظ الملك كريت من نومه توجه الى ابيه آل ، يشكره من قلب فياض بالاخلاص ، على بره وحنانه ، ويطرق مناقبه الرفيعة ، ويضرع اليه ، من قلب خاضع ، ان يحقق امنه الغالية ، ولا ينسى الصلاة الشاكرة ، لاله بعل ، سيده وحاميه ، ثم يصل الى قمة برج مشيد ، ويرفع يديه الى السماء ، متجهدا داعيا متتلا ويقدم قربانا تكريما لايه كبير الالهة وسيدهم ، وكان هذا القربان قربانا من حمل وجدي وخير تقي ، وخمرة ، تنهاوى في كل اس من الفضة ، وصل مصفى ، في اتاه من الذهب ، وشعر براحه ، وعيقت به لذة فارهة ، وهو يقدم هذا القربان ، الذي عبر به عن شكره ، ومعيق مبادته لا ..

ولما هبط كريت ، من عليه البرج ، جمع خيشا قوامه ثلاثمائة فارس مدججين بالسلاح ، متسربين بالحديد ، هذا البدو ، الذين التحقوا بهذا الجيش الجيئون ، وسار في مقدمته مختفيا حدود مملكة اودوم ..

كان الملك بابل ، صاحب بلاد « اودوم » عالما بنيات جاره الملك كريت ، لكنه كان يؤثر السلام على الحرب ، فنفسه تعاف القتال ، وتحضيب الارض بالدماء ، لذلك ارسل الرسول ، الى الملك كريت ، ليضع حدا ، للمجزرة الدموية ، التي توشك ان تم القاصي والذاتي ، وعرض عليه ، بمقابل انسحابه ، من ارضه ذهبيا كثيرا وخيولا عظيمة وعربات فارهة ، وعبيدا كثيرين .. ولكن كريت رفض هذه الهدايا باذدره ، وعلت نفرة ابتسامه متهمكة وهو يقول

صدر من :

منشورات

دار الكتاب اللبناني

للطباعة والنشر

ناشر العلامة

ابن خلدون

كتاب العبرة وديوان المستدأ والخبرة

في أيام العرب والأهم والبربر ونحوهم

من ذوي السلطان الأكبر

وهو تاريخ جديد عصره

العلامة عبد الرحمن

ابن خلدون المغربي

في خمسة وعشرين جزءا تظهر تباعا

- يتعدى في إخراجها أوقاف المصنف .
- يقوم بتحريره والتعليق عليه نخبة من اكابر علمه
- الادب والتاريخ .
- يذيل بمئة فهرس تاريخية وعلمية .
- ييسر بالتشكل شيئا شبه كامل ويخرج إخراجا جيدا .
- تيم الجزء ثلاث ليرات لبنانية او ما يعادلها .
- قيمة الاشتراك في الطبعة والعشرين جزءا خمس وسبعون ليرة لبنانية ، بما فيها اجرة البريد لجميع بلدان العالم .
- فالراغب من يرغبون في الاشتراك في مجموعة « تاريخ العلامة ابن خلدون » ان يبادروا الى ارسال عناوينهم الكاملة مع حوالة او شك بقيمة الاشتراك ضمن تعريفي مضمون على العنوان التالي :

عبد الكريم وحسن الزين صاحبا دار الكتاب اللبناني :

بيروت ص. ٢١٧٦

لوزع العام للبلاد العربية : المكتب التجاري - بيروت

لوزع العام في شمال افريقيا : مكتبة النجاح - تونس

لوزع في المغرب الاقصى : دار الكتاب بالدار البيضاء

النرى ..

وتحدث الابن البكر ، باسم جميع الاسرة ، معبرا عن الفرحة ، التي هيمنت على الجميع ، لبرئه ، فهو عمادهم ، والامل الزاهر الذي يتراقص في اصماقهم ، فالقبيلة التي هامت بهم ، لشقاقه من داله الويل ، لا حد لها .. فهم قرورو العين ، تطع على اساربهم ، وبشاشة ، وتترقرق في دناهم فورة ، تلهم بشملة من البهجة تطفو على ملامحهم ..

ويرنو الملك كريت الى ابنه البكر ، متلقيا بالنور ، شاكرا لهم هذه الحفاوة الزاهرة ، التي استقبلوا بها ، خلاصه من الموت .

غير ان الفرحة التي اتانبت الاسرة ، لم تلبث طويلا ، حتى انطفأت ، وحلت مكانها وجمة حائرة ، فيها كل الاسي ، الذي كان يعتل في نفوسهم ، خيفة على هذا الاب من ان يطوح به الموت .. فالقلق المستوف قد نزا في دم الاسرة الفائرة ، والخوف مسن المستوف الجلول ، يتوامض في ميونهم القريحة ، وتفتحت افئدتهم للشقاء المنتظر ، واعتملت في نفوسهم ، تلك الرغبة الخاشعة ، التي لا يملك الانسان اقواها حيلة ..

ان الملك كريت ، قد تميز بالقوة ، يحفه النصر ، لا يمكن ان يناله الاذى ، فهو خالد ، لا يمكن للموت ان يعذو عليه ، هذا ما اعتقدته اسرته ، وجميع سكان مملكته لانه ابن الاله آل فقد حل اليهم انه ميرا من كل نقص ، بيد ان الشك اخذ بنخر الاثنية ، في كمال الملك ، بعد تلك الضربة ، التي كاد الموت يتلقفه من جرأها .

ها هو الابن البكر ، يترجم من الريبة ، التي علقته بالجميع ، في كمال الملك ويقال له الابدي ، فيزرف اليه ، وفي عييه ، بقمع اليباس ، وبصرخ بصوت محزون : انك ابها الملك سموت كما يموت جميع الناس ..

ورغم ان اسرة الملك ، قد رات بعين الحقيقة ، ضربة القدر ، توشك ان تحل بها ، فقد حاولت ان تمنع هذه الضربة الصارمة ، وامتنعت ان تمنع الموت ، الذي يطوف بقصرهم ، من الاقتراب من الملك ..

الاسرة الحائبة ، ترغب من صميمها تأخير ضربة القدر ، انها ترغب في اكتساب الوقت ، لتفرا الموت من الملك ، او تؤخره على الأقل ، ولهذا صرح الابن البكر ، ان الاسرة ، ستقوم على حراسة الملك ، .. ستسهر كل الليل وستراقب الشوارع ، لمنع الموت ، من الانسلال السى حجرة الملك ، فلن يغمض لهم جفن ، بعد الآن ، ولن تغضي عليهم خائنة الامين ، سيكونون الحراس السلين يتجشرون امانة ، كامة الكلب الامين .

اذا كان الردي ، سيتخطف في احد الايام الملك كريت ، فهذا راجع الى ان الملك لم يؤد الرسالة ، التي انتدبه لاجلها ابوه الاله الاكبر ، بل تصسف ، وخرج من العبادة ، التي رسمت له .. ان الرسالة السامية التي كلف بها الملك كريت ، هي تحقيق العدل في الارض ، والعمل على سيادة الحق بين الناس ، فالملك الناصر ، قد نبأتمها ، ولهذا حققت عليه غضبة الالهة ، وليس الموت الاجزاء واقفا لشموسه عن الارادة الالهية ..

مما لا مشاحة فيه ، ان الملك كريت ، في اول عهده بالحكم ، قام بتنفيذ المهمة التي انتدبهت لاجلها ابوه الاله ،

فهم يعتبرون الملك كريت ، قد انساق مع الخطيئة ، ونبا عن العدالة ، فمن الواجب ، ان تخفقه هذه الالام ، التي ستؤدي به الى الموت ، ويمكن الداله الاكبر ، بعد هذا ان يعفو عنه .

وبعد صوت آل السكينة ناعبا مترعيا بالحنان : ابناي الالهة ، اذا كنتم لا تريدون ان تعملوا على استلال الالام من ابني كريت ، فاني سأتدخل بنفسي واطرد الالام . . . وينهض الاله الاب ، ويامر ابنائه الالهة بالجلوس ، ورغم تدخل آل بنفله ، لسحق داء كريت للربيع ، فان المسكين لم يبرأ من علته . . . صحيح ان وطاة الداء قسدت خفت ، ولكن بقاءه ، لا تزال ناشبة فيه ، فهو بحاجة الى رعايته ، لتطمس بقية الالام التي ترهقه ، ومن يقوم على رعايته غير الابنة الصغرى « شينمت » التي كانت دموعها وقرباتها السبب في رحمة آل وعطفه السانع . . .

ومع الالام يريء الملك كريت نهائيا من الالام ، التي كانت تعزق اذنيه ولكن هل ابراحت اصابه المكثورة ؟ . . . كلا . . . ان الالمة المنوية لا تزال تزكو وتربو ، فالقلق دوما يبرح به ، والشقاء والروحي يتلقفه . . . ان شبح الخطيئة الماضية عندما تنكز للعدل ، لا يزال يفسنه ويملأ حياته بالوساوس . فهو لا يعرف معنى للاستقرار . . . انه بالنس ، ينظر من بعيد ، الى تلك الخطيئة ، فيرتاع ويرمسه للدمر ، وتعيده به الالهام . . .

تناول الملك كريت غذاءه الشهي ، وفزع الى مضجعه يلتمس الراحة ، واذا بابائه الذي اصنئ لهايفت داخلي اهاب به لمصرحه ابيه وتقريره ، فياتي الى القصر المنيف ، ليذكر اياه ، بواجبه ، ليحمل العدل واثقه ، ويصرخ : انصف الالام ، واسحبها حقها السليب ، اطعم اليتيم ، واطرد الظالم ، واتخذ المظالم ، والا ، اذا كنت لا تستطيع ان تقوم بهذه الفضائل مسارل عن عرشك ، ودعني احكم بلامك . . . وينهض الملك كريت ، بتاجع غضبا ولعن ابنه لعنات حمراء ، وعدده ناعما الالهة منه ، وصاح : ليسحق الاله هارون والالهة اشتراكي واسك . . . ولتتود في هوة سحيقة وقد انفصل واسك من جسده . . . هل استجابات الالهة للدماء الملك ام تنكرت له ؟ . . . لا ندرى ، لان نهاية اللحمة مفقودة ، فهي تقف عند ههذه النقطة الهامة . . .

مهما يكن من شيء ، فاستطورة الملك كريت ، مأساة دمعية ، فهي قصة ملك مجور ، قد يكون اقدم ملك فسي فينيقيا ، ظل مرتجرا ، في ذهن الفيلقيين قصة ملك استطاع ان ياتي بزوجه من بلاد مجاورة . . . قصة انسان معذب ترامت عليه الخطيئة فارقه وخز الضمير ، وصبت عليه الالهة نعمتها حتى اسئل الموت روحه ، لنابة عن جانب الحق ، وعدم اصاحته لتداء الالهة . . .

فالفكرة التي سيطرت على شعراء رأس شعرا وسكانها هي العدالة التي يجب ان تسود ، ليستقر الناس في هتاء دائم ، فالالفة في نظهم ، ليس لها من رسالة ، سوى نشر العدل والعمل على اذاعتها بين الناس . . . وهكذا كانت هذه المأساة مستقى خصبا لقرائع شعراء فينيقيا الذين هزمت اعدالها الرمزية ونظفوا هذه اللحمة التي تفيض بالحياة .

على ازهي وجه ، فقد نشر العدالة بين الناس ، وعمل على ازجاء الحق للجميع ، واذاغ الخير في كل بيت ، فاستحوذ على رضى ابيه الاله الاكبر الذي خلق الارض ، ليسود فيها العدل ، ويحفظ الخير . . .

وعاقبت السنون على الملك ، وفي غضونها ، حاد عن الطريق ، الذي رسمه آل ، حتى تنسفت الخطيئة فسي اصامه ، وسفح العدالة ، فاستند الحق في الالهة فالحيدة عن العدل جريمة ، لا تغفرها الالهة ، وهي بحق لامة معينة . لم يشغف كريت انه ابن الاله ، فقد خان الالمة التي وضعت في عنقه ، فلهاذا سيكون مصيره ، الموت الكريه ، الذي سيرهص انفاسه حتما في احد الالام .

ويقول الابن البكر بصوت محطم : اناك ستموت كما يموت كل انسان . . . ويتطلع ابيه ابوه ، وقد جفت دمة في ماقية ، ويقول متجلدا عندما ترون في سمعه ، هسهده الصبابة ، التي اعلمته بمصيره الحزون : لا تبك هكذا . . . لا تنال لاجلي . . .

وليس معنى هذا ، ان احدا من الاسرة ، لن يبكي ، لان الملك امر ابنه ، بان يذهب وياتي باخته شينمت ، الابنة الثامنة والاخرة ، لتبكي مكانه . . . غير ان الابنة البارة ، لم تكف بسكب الدموع ، بل هولت ، بعزيمة جبارة ، على انتقاد ابيها ، وقلب طاهر ، تقدم قربانا ، للالهة ، وضرعت اليها ، ان تعمل على انتقاد ابيها الملك من دانهه الفاتك والحيولة بينه وبين الموت الرجيم . . .

كان الما عظيما ولوعتها صادقة ، حتى ان آل ، قد مارحته حلة على هذه الابنة الحنون ، وتدافعت به الرحمة عندما راي شجوها الفجيع ، وعصايتها التي لا تقهره . . . فحين ان يصغى من ابنة الملك ، وبغفر له خطيئة المكثرة التي اجترحها . . . فاشجان شينمت ، تفضله في الصيام ، وهو يستجيب لها ، ليقضي على هذه المائنة من الالام التي تحرق صدرها على ابيها ، الذي يقاسي الالام المضيض .

جمع آل الالهة حوله كان عددهم سبعين ، وكلهم ابنائه ، واخذ يشر كوامن الشفقة ، في قلوبهم ليقروا لاحزان شينمت ، بانجاز من خطيئة الملك التامس ، وتخليصه من الشقاء الذي يكاد يودي به .

وخاطبهم آل بلهجة تشف في حاته : يا ابناي البررة ، اني اهاب بكم لمساعدة الملك كريت . . . صحيح انه اخطا ، وهو يشحق العذاب ، ولكن يا ابناي ، يجب ان لا تنسوا انه ابني ، فمن منكم يطرد هذا الالام الشديد الذي يستل منه الراحة ؟

لقد القى آل هذا السؤال على ابنائه يرفق . . . وكنا ننظر ان يسابق الالهة لتفنياد ارادة ابيهم الاكبر ، بيد ان الصمت العميق ، قد وان عليهم ، ولم يرد واحد منهم على مطلبه .

غير ان آل لم يياس من اطرافتهم الصامتة فالقى سؤاله مرة اخرى : من منكم يتخذ الملك من دانه ؟ . . . وكان مصير السؤال الثاني كالاول ، فالالهة قد حبست انفسها ، لا حركة ولا نامة ، ويميد الاله سؤاله ، ويكره سبع مرات ، وفي كل مرة ، يصلمه الصمت البارد كالوت . . .

ان هذا الصمت يجعل معنى واحدا . . . انهم لا يستطيعون ان يساعدوا الملك ، الذي يكابد غصص الالام ،

المتشرد

ما لوجه الافق مخنوق الرؤى ، جهم الغيوم
صامتا ، كالصخر ، كالتقطان في بيد الهوم
في مدى أعماقه الظمأى كوايس الجحيم
في مداه رقصة الموتى ، حريق من سدوم
ورمساد مطبق ينهد في غور حطيم
ورياح تمفع الذكري على الرمل العديم
ورياح تهدم الذكري وآفاق النعيم
آه يا صبح الهوى ألقيت بي خلف الصحارى
الصحارى الفارغات الحمر ، اوهام الحيارى
في مدى عيني شحوب واجم يبكي النهارا
وهوى يغبو كما تغبو أحداث السكارى
في زوايا الليل والمأخور ، في ليل العذارى
وهوى ؟ اسطورة ، لغو ، حديث وتوارى
مع اساطير صيايا الحلم . أحلام بكارى
لينات الخطو ، لا همى ، خطى تطوي النصارا
والخضرار الغاب ، والأعناق ، والشر المحاربا
ذكرات ملئها التذكار ، سواها غبارا
وحينا غامض الآفاق يستجدي التقاربا
لا هوى من بعد ، لا صبحا نديا ، لا مزارا
بين أحلامي وبينى ، آه ما أقى الجدارا
في رمال الصمت والاشباح ، في حر المتاه
كيف أقضي ما تبقى من أساطير الحياه
لا هوى يروي فراغ الجفن ، يروي لي مداه
لا انتهاء يطمر الاحتلام في ظل الاله
ويعود المطلق المجهول يرمي لي دناء
فأرى سرا عميق الغور ، في عمقي صداه
ثم أغفو بين أضواء وحب وصلاه
في رمال الصمت والاشباح ، في حر المتاه
كيف أقضي ما تبقى من أساطير الحياه !

فؤاد رفقة

الجامعة الأمريكية ببيروت



تعلت اصوات مشاحنة في الفناء القريب .
فهرعت بعض النسوة من حجراتهن تستعلمن
الخبر .

وقالت احداهن : انها الساكنة الجديدة ،
تستأجر مع العمال الذي جاء بمتاعها .

كان البيت اشبه بوكالة من طابقين يتوسطه فناء
كبير ، يقع في شارع خلفي من حي فقير بمدينة اشبيلية
(اسبانيا) . يستأجر حجراته العمال وصغار الموظفين الذين
فرض بهم اسبانيا ، وسعاة البريد ورجال الشرطة وعمال
الثرام . وكان المكان يجمع كذلك بالاولاد والاطفال ، اذ يقطن
البيت نحو عشرين عائلة ، كثيرا ما كانت تتخاصم فيما بينها
ثم سرعان ما تتصالح . الجميع يتحدثون سوية كما يساعد
بعضهم بعضا كلما اقتضى الامر . وهم في جلستهم جماعة
طيبة من الناس تعيش معا على خير ما يرام .

وقد ظلت حجرة واحدة في البيت خالية بعض
الوقت ، الى ان استأجرتها ذلك الصباح امرأة **عادت**
بمتاعها بعد سبعة . تحمل منه ما وسعها حمله ، وجاء
ببقية احد العمال .

واشدت المشاحنة بين المستأجرة الجديدة والعمال .
فاصرعت امرأتان من السكان الى شرفة المطابق الاول التلا
تولهما كلمة من المراءاة .

واستمعتا الى صوت الساكنة الجديدة ، وهي تجلجل
القضاء بشتائمها وتكيل للعمال وعياناته القلرة التاييسة
الصاع صاعين . واخذت كل من الجارتين تكثر زميلتها
بكومها .

وعاد العمال يكرروا : لن اذهب حتى تعطيني اجري .
- لقد اعطيتك اجرك . ألم تنفق على ثلاثة ربات ،
كلاا لقد وعدتني بأربعة .

وطال جيل الاخذ والرد من اجل قطعة نقود لا تزيد
على ربع ليرة لبنانية .
- اربعة رباتا لنقل هذه الاشياء الصغيرة . ات
مجنون .

وحاولت ان تدفعه جاتيا . فاخذ يكرروا :
- لن اذهب حتى تعطيني اجري .
- ساعطيك بنسا آخر .
- لن اقبله .

وازدادت المشاحنة فجة على فجة . وصاحت
المرأة تسب العمال وتلعنه . ولوحت بقبضتها في وجهه ،
واخيرا نفذ صبره .

- لكن ، اعطني بنسا فاذهب . لست اريد تضيق
الوقت مع امرأة قلرة مثلك .
ودفعت له بنسا . وتركها الرجل وقد اتى بقطعة من
الفراس على ارض الفناء . فشمته وهو يولي بعيدا بكلمة

جارحة . وخرجت من الحجرة تجر حاجياتها جرا . ورات
الجارتان وجهها فقالت احداهن :

- وجهها كله شر ، يلوح لي انها خاللة .
واقبلت على الدرج حينئذ فناء ، نادتها امها لتسألها :
هل رابتها يا روزاليا ؟

لقد سألت العمال من اين جاءت ، فقال انه جاء
بمتاعها من ناحية « تريتانا » . وانها وعدته بأربعة رباتا
ثم لم تدفعها .

- هل ذكر لك اسمها ؟
- انه لا يعرفها . ولكنهم في تريتانا يسمونها لأكاشيرا .
وعادت المرأة الوحدة مرة اخرى لتتلفظ حزمة من
التعاضد كانت نسيبتها ، ونظرت بغير الكثرات الى المراتين
التيين يربقنها من الشرفة . ولكنها لم تنف بكلمة واحدة ،
وهزت الفتاة روزاليا كنفها .

وكانت لأكاشيرا في الحلقة الرابعة من عمرها ، بشعة
هريلة ، مقام يديها بارزة ، واصابعها اشبه بمخالب جارحة ،
وشفتاها غليظتان شاحبتان ، واسنانها محدودة كاسنان
طير جارح . وشعرها اسود مجعد ، تعصف في مقدمة غريبة
فيبدو كأنه سنغول على كنفها ، وتساب خصلة منه على
كل مني الكفها كلها طرف مقبلة . وبيناها غائرتان واسعتان
وسوداوان فيهما لمعان وقسوة . وتترسم على مهيأها
مبحة شريرة مبال لا تشجع أي شخص على الاقتراب منها
او التحدث اليها . وظلت منطوية على نفسها . فانار ذلك
فضول جاراتها ، انهن يعرفن انها فقيرة للغاية فثابها تنم
عن فقرها وتعاستها . وكانت تخرج كل صباح في الساعة
السادسة فلا توب الا مع الليل ، وكن لا يعرفن اين
تتكسب رزقها . فالحلت الجارات على احد الشرطة ممن
يقومون في البيت نفسه ، لاجراء بعض التحريات منها .
فكان جوابه : ما دامت ساللة ، فلا شأن لي بها .

ولكن الفاضل تنتقل سريعا في مدينة اشبيلية . وما
هي الا ايام حتى اقبل بنسا يعيش في غرفة بالطابق العلوي ،
يحكي للجيران قصتها كما سمعها من احد اصدقائه في
تريتانا . منذ حوالي شهر ، خرجت لأكاشيرا من السجن
وقد قضت بين جدرانها سبع سنوات من اجل جريمة
قتل . وقد استأجرت لها غرفة في تريتانا . ولكن الاولاد
عندما علموا بقصتها راخوا يرجعونها بالحجارة ويسبونوا
بشتى الاسماء في الغدو والرواح . فكانت هي بدورها سا
توسمهم شتما وتشبههم ضربا . واتملت المنطقة شجيحا
وضجة الى درجة ان صاحب البيت اتلرها باخذله القرفة ،
فلعنته ولعنات كل من تسبب في طردها ، ثم اختفت من
تريتانا ذات صباح .

فسألت الفتاة روزاليا : قتلت من ؟
فاجاب البناء : يقولون عشيقها .
وقالت روزاليا بضحكة ساخرة هادئة : يستحيل ان

يكون مثلها أي عشيق .
فصاحت بيلار أمها : بحق مريم الصغراء ! نامل ألا
تقتل هنا أحدا . ألم أقل من قبل يلوح أنها قاتلة !
فانتفضت روزاليا ، وضمت في سبيلها . وفي تلك
اللحظة انبثت لأكاشيرا بعد عملها اليومي ، فكتفوا جميعا

عن الكلام وشملهم لون من الضيق . وتواحموا بعض
الشيء ، ثم رمقوا المرأة ذات العيون المقترنة بشيء من
الاضطراب . ولأحدهما هي من هذا الوجود الذي اعتراه
أنه لا بد قد شاع بينهم أمر من الأمور ، فالتفت إليهم نظرة
سريعة مريبة . وراى الشرطي أن يحببها حتى يفتح
الحديث

فردت على تحتها عابسة الوجه : « بونا سيرا » . ثم
مضت إلى غرفتها مسرعة وأغلقت من وراءها الباب .
وسمعوا صرير غلق الباب بالفتح . وكان نظرة عينها
الشريرة قد مستهم بغضبها فأخذوا يمسسون بعضهم إلى
بعض وكانوا هم تحت تأثير رقية خبيثة .
فقالَت روزاليا : الشيطان يسري في دمها .
وأخاضت أمها لجراح رجل الشرطة : يسرني وجودك

معنا هنا يا مانويل لتخميننا منها .
ولكنه يبدو أن لأكاشيرا تكرة خلق المتاعب . فقد
مضت وجهتها لا تحيد عن أطوارها . ولم تخاطب أحدا
بكلمة واحدة . وكانت تقطع على جاراتها في خشونة سبيل
أية محاولة للصداقة . وأحسنت أن جاراتها قد علمن
سببها . وعرفن سبب عزلة وسنوات السجن الطويلة
التي قاستها ، وغارت التجليد في وجهها . وإزدادت
نظرتها القاسية أحجاما ونفورا . ثم رأت تدريجيا هذا الغلي

الذي سببته وإشامته في جاراتها . وكف بيلار الترنارة
أم روزاليا عن الاهتمام بأمر الشيخ الهريل الذي صار في فناء
الوكالة بين الحين والحين أمام نقر من الجيرة .

قالت بيلار الترنارة : لا بد وأن السجن قد دفعها إلى
حالة من الجنون ، يقال أن السجن غالبا ما يؤدي إلى ذلك .
ولكن حدث في ذات يوم ما أثار القيل وقال من

جديد ، فقد أفل نحو باب الوكالة الحديدي الكبير شاب
بالع واخذ يسأل عن انطونيه ساتشيز . وكانت بيلار
جالسة في الفناء ترقع ثوبا باليا ، فنظرت إلى ابنتها وهزت
كتفها .

وردت قائلة : لا يوجد أحد هنا بهذا الاسم .
فأجاب الشاب بعد برهة : أنها هنا ، يسمونها
أكاشيرا .

وفتحت روزاليا الباب الحديدي وأشارت إلى غرفة
أكاشيرا وقالت : أه ، أنها هناك .
— شكرا لك .

وصانحها الشاب بإتسامة منه ، ولا غرابة فهسي
سمراء حلوة ذات جدابة وميون جريئة ساحرة . شعرها
فاحم لامع يزيد في لمعة وجهها الوردي . ومن صدرها
الناهد تكاد حمة نديها تشق ثوبها .
فقال العبارة المتبدلة : بورتك الأم التي ولدتك .

فاجابت بيلار : الله مذك .
ومضى بطرق الباب . وشيعته الأم وابنتها بمزيد من
الفضول

فتساءلت بيلار : ترى من يكون ؟ أن احدا لم يسر
لأكاشيرا من قبل .

ولم يجب أحدا على طرق الباب ، فقرعه الشاب مرة
ومرة . فسمعتنا لأكاشيرا تسأل في صوتها الحاد : من
الطارق . فصاح : (مادره) أمه .
وعلا الأصياح وفتح الباب .

— كوريتو
وطوقت عنقه ، وقبلته بحرارة . وأخذت تدالسه
وتردت يدها على وجهه . وما كان يدور بخلد بيلار أو
ابنتها — وهما برأبائهن — أنها على شيء من هذا العنان .
وأخيرا وبعد تهنيدات الفرح والبشر ، جرته السي
غرفتها . فقالت روزاليا في دهشة : أنه ابنها . من ذا
الذي يظن ذلك . شاب رائع كهذا .

كان كوريتو ذا وجه دقيق وأسنان منتظمة وشعر
قصير مقصوص ومطوق عند الصدين على الطريقة
الاندلسية . يمتد ظل لمعته الأزرق على بشرته السمراء .
وكان على جانب من التأنق كما هي عادة أهل السلاط .
يرتدي بنطولا شيقا يلتصق بجسمه ، وجاكته جديدة
وقميصا نظيفا كاحس ما تكون الجودة والنظافة . وعلى
رأسه قمر عريضة .

وأخيرا افتتح باب غرفة لأكاشيرا ، وظهرت الأم
تتعلق براع ابنتها .
وقالت : سمود في يوم الأحد القادم ؟

— إذا لم يعنني أي غائق .
وهيما كان يودع أمه قائلا طابت ليلتك ، تطلع السى
روزاليا ورعه لها رأسه .
فقالَت : الله مذك .

وأسبغت له بومبش من عينيها السوداوين
وقطعت عليها لأكاشيرا نظرتها ، إذ هيست الفتاة الحصاد
عوبسا جذبا . ففارت عن وجهها فجأة البهجة التي
كانت تلعب منه وأسود كسمامة رهيبة .

وسألته بيلار بعد خروج الشاب قائلة : أهذا ولدك ؟
فاجابت لأكاشيرا في خشونة ، ولدت إلى غرفتها :
نعم هو ولدي .

ما من سبيل يفتح الطريق لصداقتها أو حتى ودعا
ولبها ، حتى في اللحظة التي يلقع فيها قلبها سعادة
وبشرا .

فقالَت روزاليا : « يا له من شاب وسيم » . وظلت
في الأيام القليلة التالية ترواها الضواطر عنه أكثر من
مرة .

كانت لأكاشيرا تحب ابنتها حبا جما ، حبا صادقا تعيفا
— فهو كل ما تملكه في الدنيا — وكانت تعطفه حرا ماطفتها
الحبيشة المغممة بالغيرة وتطلب إليه أن يبادلها الحب
بإخلاص هو في درجة المحال . تريد أن تكون وحدها كل
شيء بالنسبة إليه . واضطره عمله ألا يعيش معها في
حياة واحدة . وكانت الواجس تنتابها وتعذبها ، وهي لا
تدري ما يقوم به عندما يكون بعيدا عنها . وما كانت تطيق
مجرد تطلعه إلى أية امرأة أخرى . ومجرد تفكيرها في أنه
قد يغفل فتاة ما يدفعها للجنون . مع أن مدينة اشبيلا
لم تكن تعرف تسلياة أكثر شيوعا كالغافلات الطويلة ، حيث
تقضي النساء الساعات إلى منتصف الليل جالسة من وراء
قضبان نافذتها أو تنتظر عند بوابة البيت إلى أن يقبل
مشوقها يشنف أذناها بسيل من القرام والهام . وقد
سألت الأم ابنتها ما إذا كان مفتونا بفتاة أو صديقة ، خاصة

وما هي غير ايام قليلة ، حتى اقبل العيد - عيد سان ايزدورو - من القديسين في مدينة اشبيلة . وقام نفر من سكان الحي والوكالة - احتفالا بالعيد - يعلق خيطانا تتدلى منه مصابيح الورق اليابانية اللونة . وشيع نورها الحنون بضوء ظلمة الليل ، وكانت السماء هادئة . والليلة ليلة صيف صافية . وتجمع اهل البيت ، وجلسوا وسط الفناء على بعض المقاعد ومن النسوة من تضم طفلها الى صدرها او تهر يدها مروحة صغيرة من الورق ، وكن يقطنن ثلثهن في الحين بعد الحين بتوبيخ الاولاد الكبار أو لومهم . وكان التسييم علليا فيه بهجة للقلوب من قيظ النهار وحارته .

وكان بعض من سعد بمساعدة مصارعة الثيران يروي تفاصيل المصارعة لن لا يسعده الحظ بمشاهدتها . كانوا يقصون التفاصيل بدقة رائعة ، ويضيقون من خيالهم الغضب الشيء الكثير على مشاهد كل لحظة بالوانها وحركاتها . وكانوا لم تر مدينة اشبيلة مصارعة رائعة كهذه من قبل . الكل في الفناء الاهم الا للاكاشيرا بقيت في غرفتها التي تضيئها شمعة نيمية .

- واينها ؟
فاجابت بيلار : انه معها ، واينته يمر منه ساعة .
فقالت روزاليا بضحكة ساخرة : لا بد انه يقضي وقتا طيبا معنا .
فقالت اخرى : دعونا من للاكاشيرا . هيا اوقصي لنا يا روزاليا .
وصاح الجميع : هيا هيا الى الرقص يا صبية .

وان شايأ في مثل وسامته لا بد انه يحظى بنظرات النساء وابتنسامين ، وعلى الرغم من انها كانت تعرف كذبة عليها كلما أقسم لها انها يقضي مساء كل يوم يزاول عمله ، الا ان الكراهه هذا كان يقع على قلبها برذا وسلاما .
ولهذا عندما لمحت نجرها روزاليا المشرقة واستجابة ابنها وابتنسامة لها ، احتجنت وجعها سخطا وغضبا . فقد كانت تكره جاراتها من قبل كراهية شديدة ، لانهم ينعمون بالسعادة وهي تشقى يحفظها العائلي . بل تكرهنهم ايضا لانهم يعلمن بسرهما . وزادت كراهيتها اكثر واكثر اذ توهمت . في شبه جنون - باتهن يتامررن لكي يسلبنها ابنها . وخرجت للاكاشيرا في اسمية يوم الاحد التالي من غرفتها ، وقطعت الفناء ، حتى بلغت بوابة الدار . ولم يكن ذلك بالشيء المألوف عنها فأخذت الجارات يعلقن قائلات :

تسألت روزاليا بضحكة مكتومة : ابنها الغالي قدام الليلة ، وهي لا تريدنا ان نراه ؟
- انتظنا سنتومه منها ؟

واقبل كوريتو فاسرعت به امه الى غرفتها . وقالت بيلار : انها تغر عليه كأنه عشيقها .
وتطلعت روزاليا الى الباب المغلق ، وضحكت مرة اخرى ، والشر يقبض من عينيها اللامعتين . وخيل اليها انه قد يكون من بوأمت التسليية ان تتحدث لن كوريتو . واكثر فصرها من فكرة الغضب الذي سيسببها حتما على للاكاشيرا . واحتلت موضعا قرب البوابة بحيث يتحتم على الام وابنها ان يمرا بها عند خروجهما . الا ان للاكاشيرا متدما لمحت الفتاة ، خطت الى الجانب الاخر من ابنيها وسارت بشكل يعرهمها حتى النظرة . وهزت روزاليا كتفها . واخذت تحدث نفسها قائلة : لا تطع علي السبيل بهذه السهولة .

وفي الاحد التالي ، عندما اتخذت للاكاشيرا مكانها ايضا عند البوابة ، خرجت روزاليا الى الطريق وراحت تمشي في الاتجاه الذي تعتقد انه لا يد آت منه . وما هي الا لحظة حتى لمحت كوريتو فاستمرت تمضي في سبيلها متجاهلة اياه من عمد وقصد . ولكنه توقف ثم حيأها قائلا : هالي !

- اهذا انت ؟ حبيبتك تخاف المتحدث الي .
فاجاب في زهو : لست اخشى شيئا .
- وماذا لا تخافها !
وتقدمت في سيرها كأنها تريد ان يتركها وشانها ، وهي تدرك تماما انه لن يدعها تفعل شيئا كهذا . فسألتها : الى اين ؟
- وماذا يعنيك من امري يا كوريتو ؟ اذهب الى امك يا بني والا فتركك . انت تخاف النظر الي وهي ممل .
- ما هذا الهراء .

- وفقك الله . انا ذاهبة في بعض شائي ، ومضي هي خجولا بعض الشيء ، وضحكت روزاليا في قرارة نفسها . وكانت في الفناء مرة اخرى عند خروجه ، وفي هذه المرة دفمته ثورة خجله الي لون من الشجاعة ، فتوقف وحيأها طالب ليلتك . واحمرت للاكاشيرا بدم الغضب . وصاحت بولدها : هيا يا كوريتو ، فيم انتظرك ؟
تمضي في سبيله ، ووقفت الام امام روزاليا برهة كأنها تريد الكلام ، ولكن يشيء من الجهد البادي سيطرت على مشاعرها ، وعادت الى غرفتها المظلمة الساكنة .





الاريب

لا يقبل الاشتراك الا من سنة كاملة بدؤها شهر

يناير ، كانون الثاني

لدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : ديفران او ٩ دولارات ونصف

في الولايات المتحدة : ١ دولارات

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ٢٥ ليرة كحد ادنى

في الخارج : ٥ دولارات او ٢٠ دولارا كحد ادنى

*

للمكات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى

اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاطلاع تراجع ادارة المجلة

*

تليفون : { Dirac : 23819 ٢٣٨١٩ }
Die. : 25139 ٢٥١٣٩

*

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب.

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت - لبنان

واسبانيا تشعشق الرقص عشقا ما بعده عشق ، وتله لمشاهدته . وكانوا يقولون قديما - منذ سنوات - انه ما من اسبانية لم تولد للرقص .

وسرعان ما صفت المقاعد على شكل حلقة . وجاء كل من البناء وسائق الترام فيلنارته . وجاءت روزاليا بالصنجات . وتقدمت للرقص وهي وصيبة اخرى . واخذ كوريتو بصيغ السمع من غرفته لاصوات الموسيقى . فقال : انهم يرقصون ، وسرت النشوة فسي دمه . وتطلع من وراء ستار النافذة ، ورأى الجمع في ضوء المصابيح اليابانية الخافت . وراهما يرقصان . روزاليا في ثياب الاحد ، وكانت - كما هي العادة قد كست وجهها بالساحيق - وبين خصلات شعرها تلمع قرنفلة زهية وخفق قلب كوريتو خفقانا شديدا . والحب في اسبانيا سريع سريع . فما اكثر ما كان يفكر في تلك الفتاة الجميلة منذ ذلك اليوم الذي تحدث اليها فيه ، فاذا به يتجه نحو الباب .

فسالته لاكاشرا : ماذا ستفعل ؟

سأذهب لمشاهدة الرقص : الا ترضين لي ابدا

الاستمتاع بشيء .

س هي روزاليا التي تسمى لرؤيتها . وعندما حاولت منه نحاها جانبيا . ومضى الى حيث تجتمع حلقة المتفرجين ينعم مع غيره بمشاهدة الرقص . وتقدمت لاكاشرا خطوة او خطوتين ، ثم وقفت حيث بلغها الظلام والغضب ياكل قلبها . واما روزاليا فقد التفتت كوريتو فاعتريت منه وهي تخطو في رقصها الى ناحية ، وهمت في اذنيه : الا تصاف رويتي ؟

واستخفها الرقص فلم تشعر بأي خوف من لاكاشرا . وعندما انتهت الرقص ، استسلمت لميلها على احد المقاعد طلبا للراحة . اما هي فتجهت الى كوريتو ووقفت قبالتها وقد شدت قوامها . ومالك براسها الى الوراء ، وصدرها يبيض بالعاقلة .

قالت : طيما ، انت لا ترقص .

- بل ارقص .

- تعال اذن .

واينسملت ابتسامة مثيرة ، ولكن تردد ، وتطلع من فوق كتفه الى امة الواقفة في الظلام . امة التي يعبدوها خياله . ولحت روزاليا النظرة ، وهمت كتبها وسرها .

- اختلف انت ؟

فتساءل وهو يهز كتفيه : ومم اخاف ؟

وخطا الى حلقة الرقص . واخذت الموسيقى تملو ، وابدي المتفرجين تصفق مع الموسيقى ، والتصفيق ينتظم بصيحة « اوليه » المعتادة . وناولت احدى المعنيات كوريتو زوجا من الصنجات . وبدأ هو وروزاليا يرقصان . وسمع من الظلام صفير خافت كانه صفير حية . وفي طيش من النشوة اخذت روزاليا تنظر ضاحكة الى الوجه الشاحب الابيض الذي يلعب بين الظلال الاسود . وجه لاكاشرا التي وقفت جامدة لا تتحرك ، وانما راحت ترتقب حركات الرقص وتعايل الاجسام ، وتشابك الخطى ، فلمحت روزاليا وهي تنثنى الى الوراء في حركة رشيقة وتبسم ابتسامة حلوة في وجه كوريتو الذي يدور من حولها بصفق بالصنجات التي بين يديه . وكانت ميناها تلمعان كأنما تنقد فيهما جمرة من نر ، وتتاوه باتنين القضب . ولكن ما من

أحد لحظ عليها ذلك . وبلغ الرقص منتهاه . وانتمست روزاليا مسرورة للتصفيق والاعجاب . فقالت كوريتو أنها لم تكن تعلم بإجاده الرقص في هذا الحد .

وولت لاكاشيرا إلى غرفتها مسرعة واغلقت من خلفها الباب بالزلاج . ولما عاد كوريتو لم تفتح له الباب . فقال : حسنا ، سأعود إلى بيتي .

ومزق قلبها من شدة الألم ، ومع ذلك لم تتكلم . كان هو كل ما تملك وكل ما تحب في دنياها . ولكن الآن تكرهه . وفي تلك الليلة لم يغمض لها جفن ولم يلدق طعاما للنوم . وأخذت الهواجس تنتابها وتلح عليها الأفكار في شبه جنون . أنهم يسلبونها ولدها . وطلع الصباح فلم تذهب إلى عملها ولكنها ظلت تنتظر روزاليا وأخيراً خرجت الفتاة تحمل على محياها مظاهر سهرة الباردة ، وذهرت إذ واجهتها لاكاشيرا فجأة .

ماذا تريدين من ولدي ؟

فاجابت روزاليا وهي تصنع الدهشة : ماذا تعنين ؟ وأهتز كيان لاكاشيرا وضعت يديها على خنجرها تحفظ سكينتها نفسها .

— أوه ، تعرفين ولا شك ما أعنيه : أنت تسمي نفسك منسي .

— انظريني أريد ولك ؟ إبعديني مني . ماذا عساي أفعـل ، إذا كان لأحقني حينما أذهب .

— كذابة !

— « سليه » قالتها روزاليا لهجة شديدة المخشنة إلى درجة أن لاكاشيرا لم تقو على تماسك نفسها . ومع ذلك منعت روزاليا تقول : أنه يظل في الشارع أكثر من ساعة لكي يلتقي . لم لا تبقينه لنفسك ؟

— كذابة ! كذابة ! أنت التي تلتقي بنفسك في طرقتك . — لو أردت حينما فانا أجده دون لسمي وألحاح .

ولست بالتي تريد ابن قاتلة .

واسودت الدنيا في وجه لاكاشيرا . وصعد الدم إلى رأسها واندفع إلى عينيها . فهجمت على روزاليا وشدت شعرها . وضربت الفتاة صرخة البعثة وجاهدت تدافع عن نفسها . وإذا بأحد المرة يسرع على القصور ويخلصهما من بعضهما .

وصاحت لاكاشيرا : دمي كوريتو وشأنه ، ولا ساقطك !

— انظنين أنني خائفة ؟ إبعديني عني إن استطعت إيتها القبية . إلا ترين أنه يحبني أكثر من حبه لعيني .

فقال الرجل : ميا ابتعدي الآن يا روزاليا ولا تقولي شيئا .

وزمجرت لاكاشيرا من حدة العاطفة كحيوان وحشي أغلقت منه فريسته ، وضمت مندفعة نحو الشارع .

ولكن الرقص جعل كوريتو يهيم بحب روزاليا ، فظل غداة اليوم التالي يفكر في شفتيها الورديتين وسمرت اللثة في يومه ، وشع نور عينيها في قلبه وإذا هو يشتبهها برغبة جامحة . وما أرخى الليل سدوله ، حتى وجد نفسه يتجول في الحي قريبا من دارها . وظل ينتظر في الظلام عند السقينة إلى أن لمح بها في فناء الدار . وكانت أمه في الطرف الآخر ساهرة وحدها ترمي نور شمعتها .

فهمس متناديا : روزاليا .

فدارت ناحية الصوت تكتم ضيعة من الدهشة .

وانتهجت إليه وهمست قائلا : ماذا جاء بك اليوم . — لم أطلق صبرا على بعلك .

فابتسمت وقالت : ولماذا ؟

— لأنني أحبك .

— أتعرف أن أمك كانت تقتلني هذا الصباح ؟

وراحت روزاليا تعيد عليه في مرارة الفتاة الاندلسية قصة الشجار الذي دار بينهما وبين أمه ، ففوت الحادث وقد البسته ثوب البهجة اللازمة ودون أن تذكر أو تشير إلى عباراتها الأخيرة التي أغضبت لاكاشيرا والتي كانت فوق طاقتها .

فقال كوريتو : إن لها طبع الشيطان . ثم ازداد حماسة وقال :

سأخبرها بأنك الحبيبة التي أهواها .

فقال روزاليا في سخرية : كم سيسرها ذلك .

— أنحضرين إلى البوابة غدا ؟

فاجابت : ربما .

وضحكت ضحكة صغيرة لأنه يعلم من لهجتها بأنها ستسخر . وأخذ يخال في مشيئة أكثر من المعتاد وهو يقطع الشارع عائدا إلى بيته . وعندما جاء في اليوم التالي كانت في انتظاره . فأخذا يتحدثان لساعات طويلة ، بينما قرأه وتبته قرأها . كما هي عادة العشاق في أشبيلة . بفصل منهما الباب الحديدي . وما كان يدور في خلد أنه في عى من ذلك كله . سالها إذا كانت تحبه ونهواها فأجابته من أعماقها بأعـب حب ياديه . وأخذ كل منهما يقرأ في عين الآخر لهب العاطفة المتأججة في الصدور . وهكذا كانا لتمام ليلة بعد ليلة .

وخشي كوريتو أن تكون أمه على علم بزياراته ، فلم يذهب إلى روزاليا يوم الأحد التالي . وبقيت المرأة التمسعة تنظر زيارته بصب حزين . وودت لو تركع أمامه تسأله الصبح لطرد أمه إليه . ولكنها كرهته إذ امتنع عن زيارتها . كرهته وودت لو أجده ميتا أمامها وغاص قلبها إذ رأت أنه لا يد من مضي الأسبوع آخر كي تحظى برؤياه .

ومضى الأسبوع ولكنه لم يأت إليها . فلم تطلق صبرا . ليست تحبه حبا لا تستطيع حبيبة أن تمنحه إياه .

وحادثتها نفسها بها ذلك إنما هو من فعل روزاليا . وأمتلا قلبها بالفضب عندما خطر ذلك ببالها . وأخيرا جمع كوريتو شجاعته وذهب يزورها . ولكنها كانت قد انتظرت طويلا ، ولاح لها كأنما حبها له قد مات . فنحتة جانباً وهو يحاول تقبيلها .

— لم لم تأت من قبل ؟

لقد أغلقت الباب دوني . واعتقدت أنك لا تريدني ! — أهذا وحده السبب ؟ اليس من سبب آخر ؟

— كنت مشغولا . قال ذلك وهو يهز كتفيه . — مشغول ؟ وماذا يشغل صانع متعطل مثلك ؟ لم تكن مشغولا جدا وانت تحضر لمقابلة روزاليا .

— لم ضربتها ؟

— كيف عرفت بضربي لها . هل قابلتها ؟ وهبت لاكاشيرا نحو ولدها . والشرر يتطاير من عينيها .

« قالت أنني قاتلة »

— وماذا في ذلك .

وصاحت تردد قوله « وماذا في ذلك » ونسمع صياحا في فناء الدار .

..حسنا، ما دمت تودين معرفة الحقيقة فسأخبرك بها .

انه سيتزوجني . وهو يهوائي . وانا - انا احبه من كل قلبي . ودلارت حول لاكاشيرا ، تريد ان تتخلص من قبضتها . انتظني اذك قادرة على معنا ؟ انتظني انه يخافك ؟ انه يكرهك . هكذا قال لي . ولكم تمنسى الا تخرجين من السجن .

.. انا لك ذلك ؟
واكتشفت لاكاشيرا الى الورد . واقتنعت روزاليا الفرصة للتخلص منها .

نعم ، قال لي ذلك ، واكثر من ذلك . قال انك قتلت ييب ساتني ، وانك قضيت في السجن سبع سنوات وانه تمنى لك الموت .

وكانت روزاليا تنفت الكلمات كأنها تنفت سماء ، وضجكت بصوت حاد عندما رأت المرأة تتخلص من وخز شريات اليمه .
.. بحق لك ان تغفري باني لم ارفض الزواج من

ابن قاتلة .
ورسخت على الدرج بعد ان دلفت لاكاشيرا . ولكن الدفعة قد افادت المرأة من وقع مبررات التعصير القاسية . وبصيحة غضب وحشية انهالت على روزاليا ومسكت بكتفها وجرتها اليها . فدلارت روزاليا ولطمتها على وجهها . واخيرا لاكاشيرا سكينا من صدها وهوت به على عنق الفتاة وهي تلمنها . وصاحت روزاليا .
.. اماء ، قتلتي .

وسقطت في اسفل الدرج وخرت صريعة على الحجرة .
.. وتجمعت في حولها بركة قاتية من دمها . واكتشفت في بصيحة الفتاة الياسه بضعة ابواب على ممراتها . وزاحم القوم للقبض على لاكاشيرا ، ولكنهم استنذت الى الحائط واجهتهم وعلى وجهها مسحة من الوحشية فلم يجرؤ احد على الدنو منها . واسرعت بيلار تصيح من الشرفة ، وتبدد اهتمام الجمع لحظة . واقتنعت لاكاشيرا الفرصة فاسرعت الى غرفتها ، وما بلغت حتى اغلقت الباب بالفتح من خلفها .

ونجاة ازدهم القناه بالناس . واخذت بيلار تصيح وتولول على ابنها ومشا حاولوا ابعادها مسن البيت . واندفع احدهم في طلب الطبيب ، واخر في طلب البوليس وكثر ازدهام اللجة في الطريق وتجمعوا عند الباب . ثم اقبل الطبيب يسرع الضطى وفي يده حقبة سوداء صغيرة . وجاء رجال البوليس فاخذ بعض الموجودين دفعة واحدة يروي ما حدث واشلوا الى باب غرفة لاكاشيرا ، ودخل رجال البوليس منوة . وبعد مراك ومشاحنة ، خرجوا وقد كبلوها واتوقوا بدنها وازدهم الناس فاحاط بها رجال البوليس واخروا يفرقون بافمده سيوفهم الناس الذين اتفوا حولها يلعنونها ويلوحون بقبضاتهم فسي الورد . ونظرت لاكاشيرا اليهم بارتداء ، ولم تقل شيئا . بينماها تشع بالنصر . وقادها البوليس الى القناه ومروا بجثة روزاليا .

فباتت لاكاشيرا : اهي ميتة ؟

فاجاب الطبيب بوقر : نعم .

فقات : شكرا لك .

حسن السرمان

« اذا كنت قاتلة ، فهذا كان بسببك انت . نعم قتلت ييب ساتني ، لانه كان يضربك . فمن اهلك انت قضيت في السجن سبع سنوات . سبع سنوات . اه ، يا لك من شي غبي انتظنها تهتم بك . وهي التي تقضي كل ليلة السمات عند البوابة . فاجاب كوريتو في شيء من الغضب : اعرف ذلك .

وفرغت لاكاشيرا بشدة . والقت عليه نظرة محيرة ثم فطنت الى كل شيء . ولهبت من الالسم والغضب . وضربت قلبها بقبضة يدها كأنها الغضب أكثر مما تقوى على حمله .

اكتت ناتي كل ليلة الى البوابة ، ولا تحاول زيارتي ؟ اه ، ما افساد ! وانا التي بدلت من اهلك كل شيء في طاقتي . انظر انني كنت احب ييب ساتني ؟ وما كنت احتمل ضرباته الا لكي اوفر لك الخبز والحياة . وما قتلتها الا لانه ضربك . يا ابي ، لقد مشيت من اهلك فقط . ولولا اهتمامي بشانك لكان من الخيري ان اموت فلا اتعذب طوال تلك السنوات المريرة في السجن .

.. الا تفهمين ، ابنتا المرأة ، كوني عاقلة . ها اننا في العشرين من عمري . ماذا تنتظرين ؟ اذا لم تكن روزاليا ، فسكنت غيرها .

.. ابها الحيوان ، انني امتك . هيا لمرب من وجهي . ودفعته بشدة ناحية الباب . وهو كوريتو كتعبه .

.. لا حاجة بك للظن باني اريد البقاء . وقطع القناه في خفة حتى بلغ البوابة لم رد اليه الحديدي من خلفه . واخذت لاكاشيرا تروح وتندو قتي غرفتها . ومضت السمات بطيئة . وظلت فترة طويلة عند النافذة ترتب بعدة مربية اشبه بالوخش الطاري يستعد للتفراض على فريسته . ثم وفعت جلاذة بقبضه القلق الذي يمزق احشاؤها . وسعمت صعقة ناحيسه البوابة علامة على وجود احد الاشخاص . فقدمت الى الامام تتطلع وقد فغرت فاه والشر يطاير من عينيه . ولكن لم يكن هناك من احد . غير البناء . وانتظرت بعض الوقت . وجاءت بيلار ام روزاليا وصعدت المراج الى غرفتها وتحسنت لاكاشيرا حجرتها تحاول اطلاق انفاسها الحبيسة . واستمرت تنتظر . وانتابتها في الحين بعد الحين رمشة غريبة سرت في كيانها كله .

واخيرا ! تصامت الايدي عند البوابة . وصاح احدهم يسال من هل : من هناك ؟
.. السلام !

وتعرفت لاكاشيرا صوت روزاليا ، واحسنت بشيء من خيلاء النصر . وفتح الباب من هل ، ومرفت روزاليا وقطعت القناه بخطاها الخفيفة تدب فيها نشوة الحياة . وكادت تم بوضع قدمها على الدرج عندما فغرت لاكاشيرا الى الامام تحول بينها وبين الصعود . وامسكت بلمها فلم تستطع الفتاة حراكا .

فقات روزاليا : ماذا تريدين . دميئي امر .

.. ماذا كنت تفعلين مع ولدي .

.. دميئي امر ، والا سامرخ .

.. اصحبح انكما لتلتقيان عند البوابة كل ليلة ؟

وصاحت روزاليا مستنجلة : اماء ، النجدة ! تطونوا !

.. اجيبيني .

انلتقي؟

*

انلتقي؟! يا ليت أتا على مخضوض من درينا فلتقي
طيرين أو كالطير في شدوها على الندي المائس المسروق
فتلا الدنيا أغارينا من مغرب الشمس الى المشرق
ونعبر الحياة من شاطئ لشاطئ كالحلم في زورق
صلوعه هذه، مجاذيفه ورد، وصدر الموج من زبق

* * *

يا طيبه حلما!! ألا ليتني أظله من سرايه أحسي
اذن! فلن أعطش يا حلوتي وأنت لي خمر، الى الاكؤس
عيناك اكم تحدثت عنهما مياقط الابداء للرجس
ألف ربيع يحنني فيهما وألف شمس منهما تكتسي
أن تضحكي تضحك شمام الدجى وتظلم الشمس أن تعبسي

* * *

يا حلمي الغالي!! ألا نظرة عجلي؟! ألا قرب؟! ألا موعد
أدثو، وفي غيبي إيماءة وفي فمي قيشارة تشدد
أوتارها بحثت، ألم تسمي؟! لمن اذن آهاتها توقد
واخجلتي أن قيل غثي ولم يفتح له فردوسها الموعد
قلبي، على كفي، يطوي المدى اليك، لا يهنا، ولا يسعد
من غير أن تمتد منك اليد وتضحك العين، ويرضى الغد

عن الف حلم للهوى يولد

سليمان نصر

أساسة « نفيسة كامل علي » في « بداية ونهاية »

بقلم فاضل السباعي



بنفيسة ، ألبنت الفقيرة الديمة ، الى ان نزل قدمها
وبيع جدها للشيطان لنقاد من ثم الى الانتحار . وقيد
مهد لهذه المأساة بحاجة الأسرة المادية ورغبة ألبنت الجدية .
وضع المؤلف هذا التصميم ، ثم مضى بكسو شخصياته
الدم والروح ، وما رضى ان يحيد عه قيد أنملة . فانه
— فيما بعد — كان حريصا على ان يختتم المأساة بانتحار
نفيسة . وما كان في ذلك من شسر ، لولا ان انحراف
ألبنت — أصلا — عن جادة الاستقامة والشرف ، ثم أصرارها
على أحراف المهر ، جاء مقتسرا غير مقنع ان يتسجم مع
ما يكتنف حياة البنت من ظروف وملابسات .

فقد كان أبو نفيسة موظفا ان لم نقل محترما فعلى
جانب من الاحترام ، وقامت على تربيتها ام صارمة بهاها
كل من في البيت نفيسة ، وحسين وحسين وهما في
مستهل الشباب ، ولم يشد من تهييها الا الابن الأكبر حسن
فانه كان مثالا للتفسخ والانحلال لا يكاد ياري الى البيت الا
اذ قرصه الجوع (١) .

وكان نفيسة من العمر يوم مات ابوها ثلاث وعشرون
سنة . في حين كان حسين في التاسعة عشرة وفي السنة
الرابعة من دراسته الثانوية . اما حسين فقد كان في
السنة الثالثة من دراسته ويصغر اخاه في العمر سنتين .
وما خلف المتوفي لاسرته سوى معاش قهري خمسة جنيهات
لم تجد معه الأسرة بدا من ان ينقطع أحد الابنين عن دراسته
ليعمل وينهض بامبارها ، او ان يستمروا معا في الدراسة على
ان تعمل نفيسة « خياطة » .

وقد راينا الأسرة البائسة ، غداة وفاة عائلها ، تنفكر في
وسيلة تضمن لافرادها الحياة الكريمة ، وكانت الام تدبر
الحديث بالبن ثلثة وبالزجر أخرى ، الى ان قالت : « أما
نفيسة فتحنس الخياطة ، وهي تخط كثيرا لجاراتنا محبة
ومجاملة ، ولست أرى بأسا في ان تنقاضي على تعبها
مكافاة ... ولكن حسين صاح بنضب وقد اصفر وجهه
غضا : خياطة ! ... ان تكون اختي خياطة ، كلا ، ولن
اكون اخا لخياطة ... فصاحت به امه : اخرس ... »

(١) وفي ذلك يقول أحد الكتّاب : ان نجيب محفوظ دفع حسن
الى الانحلال « دون ان يحسور لنا الأسباب الواقعية والنفسية التي دفعت
به الى هذا الإيحاء » . فكلنا بان قال ان سبب ذلك كان « زلزاله » الذي
اثر له المصاة . مجلة « الادب » : العدد الثالث ، مايو ١٩٦٦ .

المن ان احدا لم يقرأ عن « بداية ونهاية »
الروائي نجيب محفوظ ، ان لم يكن قد طالعه
وعاش في الدنى الزاخرة التي تنفخ الحياة في
أرجائها فلم . ثم معطاد لابني يقدو الأدب العربي
في ولبته المعاصرة ، بالانز الرقيع تلو الآخر ...

و « نفيسة كامل علي » إحدى الشخصيات التي
تنهض عليها هذه القصة الممتعة . وقد رسم لها المؤلف دور
التي تمنح وتعطي في صمت وفي مزيد من السخاء ، لتمضي
في اخر المطاف الى المدم والفتاة ، بعد ان تجود بدمائها ؛
تماما كالفراشة التي تطلع من الشرقة : تضع بيوضها وتنفو
ماتنة قريرة العين .

اراد المؤلف لبعبة ان تعمل وتكسح لتمد اسرها
البائسة بتقليل من الكسب تجنيه من عملها كخياطة مقحولة
تدور على البيوت ، وذلك بعد ان فتحت الاسرة الشنيعة ذات
صباح فاذا معيها قد اختطفه الردى علي غير سابق اخطار
وما خلف وراءه لدويه من المال سوى « معاشه » اليسير
الذي لا يكاد يسد رمق زوجته وابنته نفيسة وابنييه
الطالين في الثانوي وابنته الآخر العاطل عن العمل العاطل
من الخلق ... فكان لا بد ان تدفع الأسرة بالبنت — في
قبل تخطيط الجيران بين الفترة والاخرى بعض النيب
صدقة واستحيابا ؛ فلعل مهنتها هذه تمكن الاخوين من
اكمل تحصيلهما فيقبض بعد ذلك للأسرة امر جديد . على
ان المؤلف ما كان يريد لنفيسة ان تقوم بما ينط بها من عمل
دون ان يطلق بها منه غبار واي غبار ، فدمعها في غمار
عملها التي تعاطي الفحشاء لقاء درهيمات معدودات في كل
مرة ، ان ان تكشف لآخها امرها المستور فيستاقها الى
الليل لتدفي في احضانة خزيها وهارها .

كذلك يبدو لنا « تصميم » نفيسة كامل علي في قصة
« بداية ونهاية » . فبل ينهض هذا التصميم على صرح
فني متين ؟ وشخصية نفيسة ، ما نصيبها من « الاقناع » ؟
وهل استقام لها ، في جميع مراحل تطویرها ، الاخلاص
الفني والصدقي الروائي ؟

لعلنا لا لعدو الحق ، اذا قلنا ان شخصية نفيسة لم
تكن مقنعة الاقناع كله ، ولم يستقم لها الصديق الروائي كما
استقام لسائر شخصيات القصة ؛ ذلك ان المؤلف كان قد
وضع في « التصميم » قبل ان يسرح في الكتابة ، ان يدفع

وساد صمت مؤلم .. تالم حسين كثيرا لمصر اخته .. اما نفيسة فسكتت مغلوبة على امرها ، وقد كانت امهسا اقتنعها بفشروته (٢) ..

ويتجلى لنا في هذه الفقرات صرامة الام ، وتالم الاخير للمصر التعبس الذي تساق اليه اختما (٣) . وكذلك فسطر الاسرة ادى دفع نفيسة الى العمل ، لتضيف الى المعاش دخلا جديدا ، فضلا عن ثمن بعض قطع من اللات راحت الام ببيعها بين الفترة والاخرى . الى هنا والحوادث تجري مقنعة . وقد كنا نقسب ان نفيسة ستعمل - في مهنتها الجديدة - على ان تقى كرامتها وكرامة اخوين لها شابين غيورين من كل مسا يشين ، وهي العائلة الرزينة ، والتي تقوم على تربيتها ام لا تمورها الشدة واخذ الامور بالعنف والدهاء . على اننا ما ليتنا ان فوجئنا بالصبي وهي تنصرف بعد ايام من عملها كخياطة . فانها تذهب الى بيت لتخيط ثياب عروس فيه ، وهناك « جلس الخياطان على الكتبة المقابلة » كانوا متصفين . وكانا يتحدثان في صوت مسموع حينا ، وينخفض حينما فيسر مناجاة وهمس . وكما ودت ان ترفع رأسها من الماكينة اليهما ، ولكنها خافت وعقلها الحيان ان تلتقي عيناهما بعينها . « وكانت قد اعتادت بعد طرد الخادم التردد على بقالة مجاورة لايتباع ما يلزمهم ، فتعرف الى « سلمان » ابن صاحب البقالة وصبي في آن « معرفة اخذت تردد بكمور الايام . واستحضرت صورة الفتى بقاءه الطويلة المائلة لامتلاء ووجهه البياض الاسمر وعينه الضيقتين ، وتساوت : ترى هل حقا بيدي نحوها اهتماما ، ام انها واهمة ؟ لخير اليها ان ينسج لها قسي تودد . » وتطلق اليه في دكانه نور انوارها في سحر المورس ضاربة بتربيتها وبسمة اسرها عرس الخياط . وفي سبيل من ؟ صبي بقال . ولم لم تستعمل به دل هذا اليوم ، قبل ان يموت ابوها مثلا ؟ لانها لم تكن خياطة !! . هذا يبدأ التناقض والتشكي والقسر في السيرة حسب التصميم ، ويستقبلها الشاب « مهتل الوجه وقد لصت عيناه الضيقتان ، كانت قسماته تشي بالقباه والحيوانية والجن » .. وبرحب بها ، فتركب وهي تدفع اليه بالقرش ثمن الحلاوة الطحينية ، فيتناولها ويقول : « ساحتفظ بقرشك بركة » فتتسم له تشجعه وترحب به وقد اهتز قلبها سرورا وجاش صدرها بالانفعال (٤) . ثم ان نفيسة تذهب الى الفتى يوما في دكان ابيه ، وقد اخذت تعير زينتها مزيدا من الاهتمام فتكمل عينها وتصيح بخداها وشفتيها بصرة طفيفة . فيطلب اليها من خلف اية ان تسبقه الى الشارع القريب ليفضي اليها باشياد هامة . ثم يلحق بها ويجاذبها الحديث وهي توافقه الى ان تسمع منه ما يريح قلبها . ثم يفتقران الى موعده وفي الموعد يتجولان قليلا ، ثم يزين لها مرافقتها الى بيته . فذلك امن من العيون ، فتستجيب بعد تمنع . وهناك .. تسفع الخياطة عفافها في ساعة صنف يمتينا فيها الفتى

(١) « بداية نهاية » : « الكتاب الذهبي » ، مارس ١٩٥٦ .

(٢) واسر ذلك : ان في اختراق البيت الضيق - في القصر المصري - امتحانا لكرامتها وكرامة الاسرة جميعا . وذلك ما لم يجر به عرف في تراثنا السوري .

(٣) القصة : ص ٥٧ ، (٤) القصة : ص ٨٠ .

بالزواج .. وينتهي كل شيء (٥) .

وقد كنا نقسم ان يقف انحراف نفيسة عند هذا المدي ، سيما وقد تزوج فتاهها بعد قليل من فتاة اخرى . ولكنها ترجح بين اسمه « محمد الفل » عمال الجراج ، والذي يتعرض لها في مورها من امام محل عمله (٦) وينشب في نفسها صراع عنيف تنتهي منه الى رأي : لان ثمة « رغبة تاي عليها ان تمتزج الحياة وتوازي » ولانها « ترضى الهوان في سبيل النقاد التي تمس حاجة اسرتها » ويرى لها الرجل يوما من الجراج ، فتتدلى منه بخطوات وثيدة متجاهلة اياه ، فتصن به بعرض سبيلها قائلا بجرائه المألوفة : « الصخر نفسه يلين يا ست ، هلك السيلة عند منعطف الطريق . ثم يسر الى جانبها مشحما بابتسامتها ... فيطلب لها غزله ... وفي السيارة ، في الصحراء ، يد يدعها حول حصرها ويجلبها نحوه يعنف ، فتندلق عليه متواحة ، فيفقر فاه العريض ويطلق صلي فمها ويضفها الى صدره بوحشية ، فتشعر باذى الامر بالم وقلق ، ثم تعصي الامها تعيب في ظلمة باطنية غريبة .. وتبذل قصارى جهدها لارضائه ... وفي العودة يقذف لها بنصف ريال (٧) ، فتعثرها خيبة امل لتفاعة الاجر (٨) !! ان هذا كثير على بنت لم تعرف عنها الا نقاء النفس وطيب العنصر . ولعلنا نضرب صفحا عن حياء مصلوكها - كسلمان صبي البقال - ما دامت تأمل ان يتخذ منها زوجا وهي النسيمة التي مضى عنها زووج الزواج .. اما ان تبذل تنقل من مائل الجراج مثل هذه الفول المماهر ، وان تبذل داخل السيارة « قصارى جهدها لارضائه » ، فذلك ما لا يمكن ان يبعد الا عن ان تحمل نفيسة موسم عريقة . وليس بعيدا هذه الطريقة تصوير الخواطر وتحليل المشاعر التي كانت تخطو في اعماق البنت مهما اوتي قلم المؤلف من سحر ومهارة في تناول التحليلات النفسية ، فالبسالة هنا اقرب من ان تستأج لجرود سحر في التعبير او اجادة في التحليل . فآسر هذين يغيب في الذاكرة فور اسفلاق الكتاب وبعبى الوقائع مجردة من التزييق عارضة عن الخرف البراق . لقد كان ينبغي لاستضافة مهر الصبيبة ان يكون ذا جدوة بعيدة - ولو باهتة - في ماضي ايامها ، كان يكون لها في مراعاتها الطائشة علاقة حب مع قريب او صديق الاسرة او حتى من ابناء الجيران ، فلما مات ابوها وقدر لها ان تعمل خياطة تنتقل في بيوت الناس لم يكن من المستحسن ان تزل قدمها ، وحتى مع هذه الصورة الفرضية ليس يسهل الرضا عن تحميلها نفيسة الموسم العريقة .

على ان المؤلف ، من جانب اخر ، وضعا في حيرة اخرى . فنحن لا نعرف على التحديد الباحث الذي يدفع نفيسة الى تعاطي الجراج : اهو سعيها الى كسب النقود لانفاق على اسرتها البائسة ؟ ولكن ذلك ليس بالدافع المقنع ، لان هناك ابوابا اخرى تنلق منها الاسرة ، هسي المعاش ، واللات التي تباع منه في كل فترة قطعة ، ودخل نفيسة الخياطة .. اذن دخلها كموس ليس بالدخل الوحيد الذي لا معدى عنه ولا غناء ، سيما وان عطاشا المعار من التفاحة بحيث لا تغري بان تهر من اجلها عرضها

(٥) القصة : ص ١١١ ، (٦) ما يغل الفرة السورية . (٨) القصة

ص ١٢٨ .

جعل يصيح بانه بعد مضي رجال الشرطة : ديني اقبل نفسي .. لقد اقتصضنا وانتبهنا ، في حين اهترى نفيسة « خوف غريب اترعدت منه غرائصها ... وبكت بكساة هستيريا ... فقد خيل اليها انها في المطاردة ... وتوقع قلبها شرا قطعاً ... ثم خفق قلبها كأنها تجفل من لقاء اخوها » (١١) .

اذن فقد تغيرت حال الأسرة التغير المراد ، وتركت نفيسة مهنتها ، فدخلنا الظن بانها ، وقد عاشت تجربة الخوف من اقتضاح امرها لدى اخوتها ، سوف يكون ذلك سببا كافيا لان تلوي من يومئذ عن طريق المعر والبغاء .. ولكن المؤلف كان قد وضع تصميمه على اساس « ماسوي » على اساس ان يتصل بعلم حستين ، الغيور المتعالي ، خبر احتراق اخته البغاء .. فيستدعيه ضابط النقطة يوما لينهي اليه ان من تدعى نفيسة كامل على قد ضبطت مع شاب في بيت سيدة ودية تخرج حجازيه بالصامدة للمشايق (١٢) . ويصعق حستين للثأر ويند عنه رشده ، فيساق اخته الى التبل ، حسب تلك الموشوع ، لتلقي بنفسها بين احضانها (١٣) . مصدلة بذلك التستر الصديق على ما فارقت من الام جلبت لاسرتها الخيري والصلح .

وكذلك انتهت الى غايتها مأساة نفيسة كامل على . انتهت المأساة ، ولكن في شيء من الانفعال والأفعوية والجدب عن الانعاز . فليس في مجتمعا الشرقي ملامح لهذه الشخصية ، البنت التي تنردى في الهاوية على فحاة دون ان تكون تنردبها جلدور في حياتها البعيدة أو القريبة ، وفي الوقت الذي يقوم على رمانتها ام صارمة واخوة اشقاء لا تقضي في طريقها غير ملتوية على رسم ما ينظرها من القباب الصلابة ان هو اكتشف امرها لآخوها ولا بد من ان يتكشف بؤسها .

ولئن دل احد المستشرقين الأوروبيين - في حق - عن ببه حيله حسي ، انها « صورة نقيّة للحياة الاسلامي نسّم بالحياة والصدق » (١٤) ، فإننا نقول في نقصة واصبراد : ان شخصية نفيسة كامل على لا تمت بصلة الى واقع شرقنا الاسلامي بطرونها التي كساها اياها المؤلف في « بداية ونهاية » .

ومن عجب الا تسترعي هذه الشخصية انتباهه ناقد (١٥) قد توفر له دراسة الادب الروائي المصري ، ووقف عند نجيب محفوظ وقفة طويلة .

ونحب ان نثوب - آخر - بان راينا هذا يقف عند شخصية نفيسة كامل على لا يتعداه ، وليس مثله راينا في حائر شخصيات « بداية ونهاية » . فالحقصة متعصّة حقاً بدناها الزاخرة وتماسكها الفني . وبحسب مؤلفها انه ذو قلم يعد من انجح - ان لم يكن الانجح - في الافلام الروائية اليوم التي اخلت على نفسها ان تخرج - برائع فنها - الواقع العربي بما ينسجم به من مرأيا وما ينخر في كيانه من ادواء ، في جلد وبرامة واخلاص .

فاصل السباسب

حلب

جرماتوس ، « مجلة « الادب » : فبراير ١٩٥٢ . (١٥) عبد العظيم انيس في كتابه « في الثقافة العربية » بالاشتراك مع محمود امين العالم ، ص ١٥٢-١٧٧ .

وترخص كرامتها (٩) ، فهي لئامتها غير مرغوب بهما من الرجال : وان كان البامت ظمّا جسديا تقصد نفيسة الى اطفال غلبه فقد كان اولي بها ان توقف جسدها على واحد من الفتيان وتكون له بالخيلة اشبه ، لا ان تقلب في احضان كل من يرغب فيها من الرجال ، ومنهم ذلك المتزهل الاشيب ابن الستين (١٠) .

ثم ان القصة بينا الهونا .. فتتحسن حال الأسرة تحسنا مقبنا . فالاح الاكبر حسن ينقطع عن البيت فيكتفيهم بذلك مؤونة اطعامه القيمات القليلة ، بل هو لابني يمد اليهم يد المونة بين الفترة والاخرى . ويحصل حستين على البكالوريا ويدخل في عداد الموظفين . اما حستين فانه يفدو ضابطا في الجيش معتمرا بنفسه الاعتزاز كله طامحا كل الطموح الى ان يرفع من شان الأسرة ويفير حالها الى حال اخرى ، وكان اول ما صنع في هذا الضمار سعيه الى ان يزبل الوصمة التي لحقت بالاسرة من امتهان البنت الخاطلة ، فتكف نفيسة عنها ، ثم هو يغير الرقاق الشعبي العتيق الى حي حديث ، بل انه يهجر خطيبته « بية » - البنت الساذجة - التي مضى عليه في خطبتها زمن ، لانها تذكره بياضيه التيسر ولانها لم تعد تواكب اماله الصاعدة .. ولا دل على اعتزاز حستين هذا وطموحه من فرط تأثره يوم فاجأ زجال الشرطة الاسرة في بيتها ففتشوا الدار بلدوي ان حسن يتاجر بالخدرات ، حتى انه

(٩) نصف الريال ، او ريال واحد . (١٠) القصة : ص ١٩١ .

(١١) القصة : ص ٢٢٨ . (١٢) القصة : ص ٢٤٠ . (١٣) القصة : ص ٢٩٢ .

(١٤) القاص نجيب محفوظ في نظر المستشرق عبد الكريم

صدر حديثا من :

دار بيروت للطباعة والنشر

ابو حيان التوحيدى للدكتور احسان ميس

بافانيسي ترجمة بهيج شمان

برنارد شو لعبد الطيف شرادة

بوشكين للدكتور فؤاد ابواب

ستان وصلاص الدين لمارف نصر

فن السيرة للدكتور احسان ميس

لسم يكن « شوقي » ليجراً ويخطو
 يضع خطواته ويضع في يده
 صاحب « الدولاب » درهمه العزيز
 فيشارك لاداه في رحلهم وابتهاجهم
 العظيمين بالعيد .. ولو كان أخوه
 « جاسم » معه ، إذن لما تردد لحظة
 في اقتناص هذه الفرصة الكبيرة التي
 اتاحها له العيد ، ولما شل الجسمود
 خطواته والخوف لسانه ، ولكن جاسما
 أبى أن يأخذه معه ، فلقد خرج غاضباً
 أومتمصلاً الغضب ليلتصم من
 توصلات أمه ، ومن بكاء أخيه « شوقي »
 حين أمر على الذهاب معه .. ولكن
 شوقي لم يياس ، فما كاد يدع أخاه
 جاسما يخرج ، حتى راح يتيممه بحذر
 ويتمتع خطواته ، ويضع فطرات من
 الدمع تجمع على وجنتيه .. وأحس
 جاسم أن أخاه شوقي سيفسد عليه
 يومه أن هو تمادي في امرأه ، فلم
 يجد بدا من الجوء إلى العنف ، فرجع
 إليه - وقد كان يحسك بالحائط -
 بنوعه ، ويهدده بالفرق أن هو لم
 يعطه ويرجع إلى الدار .. ولما لم تجد
 فيه كل توعده عاد بتوسل إليه
 ويعد أنه سيأخذه معه إذا كان العصر
 ولم يشأ شوقي أن يرضخ أو يستمع
 إلى مثل هذه الوعود التي طالما سمع
 بملها دون أن يلتزم ببعضها ، فقام
 على التراب وجعل يضرب الأرض
 بقدميه ويلر التراب بيديه ويسكي
 نكاه مجنوناً ، فاستشاط جاسم
 فغيظاً ، وكاد يبلطي به لو لم يتذكر
 رفقاءه الذين ينتظرونه في الجامع
 وفرودة الأسراع إليه ، فضيق غيظه
 بجهد ، واكتفى بأن أهى عليه نظيرة
 شرراء ، ثم هدهد بالفرق أن هو
 عاد وتعبه ثانية ، ومضى إلى صعبه .
 ولكنه ما كاد يبتعد بفص خطواته حتى
 قام « شوقي » وراح يتعقبه ثابتة
 وهو يحسك بالجدال منهم .. وحين
 رجع إليه جاسم في هذه المرة ، لسم

بمهله ، بل عاجله بلطمة قوية على
 خده ، وصرخ فيه :
 - اهكذا تغفل بيباك يا حيوان !
 هل تظن أن احدا سوف يحسن اليك
 ثانية ويطلع عليك نوباً نظيفاً من ثياب
 اولاده ..
 ثم امسك راسه بقبضته وجعل
 يجره إلى دارهم ، وشوقي يملأ اللرب
 بصراخه وعويله .. ثم دفع به إلى أمه
 وصرخ ثانية :
 - انظري أي شيء فعل بيباه ..
 ولم ينتظر جواباً ، فخرج وصفق
 الباب ، وهو من التلك ، صفقه خلفه
 بقوة ، .. فقلت السلسلة المعلقة به ،
 وهي رتاجة ، فضربه ضربات سريعة ،
 وكانها كانت هي أيضاً تقطع حبل
 احتجاسها ، وتضرب على حبل الذي
 أبى إلا أن يحرث تلك هذه البهجة
 اني لا يمكن أن يعوس .
 ولقد ظل شوقي يبكي ويسول
 ويمرغ جسده في الأرض ، حتى كاد
 قلب أمسه أن يتفتت ، ولم يجسد
 توسلاتها ووعودها له شيئاً ،
 فاضطرت آخر الأمر إلى أن تفك عقدة
 فوطتها وتخرج منها الدرهم الوحيد
 الذي تملكه ، وتضعه في يده وهي
 ترجو في دحيلتها أن تسترده منه
 بالخيالة أو بالتوسل إذا هذا قليلاً
 وتنامي بكساره .. وما كاد شوقي
 يشعر بالدرهم يستقر في راحة يده
 حتى وجد أن عويله يجعد في حلقه ،
 وأن عينيه تفتحسان بقوة وتنتظران
 بتواقة إلى الدرهم ، وسرعان ما جمع
 قبضته عليه ، ثم تطلع إلى أمسه
 والدهشة تكاد تخرجه عن طوره ..
 - درهم !!
 - وأبسم والدموع تتللا على خديه
 الداوين ، ولم تشأ أمه أن تقول شيئاً
 ولم ينتظر هو منها جواباً ، بل راح
 يربص في باحة الدار ويردد بنشوة
 عظيمة :

- درهم .. درهم .. درهم ..
 وشعرت أمه بقلها يتفتح وبكيس
 ويمتلئ نشوة طافية ، وتمنت صادقة
 لو أنها استطاعت أن تستغني عنه
 فتمتعه أباه .. ودون أن يدري وجد
 نفسه يفتح الباب بسرعة عظيمة وبغضب ،
 وينطلق يعدو كالسهم .. تاركا وراءه
 السلسلة تضرب الباب ضربات سريعة
 وكأنها كانت تشركه غيظته ودهشته ،
 ونحسه على الأسراع في العدو قبل أن
 تلحق به أمه ولتنزع منه الدرهم ..
 واستقل في يد الأم ، وما كانت
 لتدري أي شيء تصنع ، فخرجت
 كالجنونة دون أن تردى مهادتها
 تنادي شوقي ، ولكنها لم تجد أي أثر
 لسوقي .
 أنه يعرف المكان الذي يقام فيه
 مهرجان العيد ، حيث « المراجيح »
 و « دولاب الهواء » و « الباسكات »
 و « العرايات » التي تحسّر الأطفال
 حشراً ، وتلدوهم الازقة والطرق
 بدفعها صاحبها بيديه ، و « الحبر »
 التي تحملهم من « المقبرة » إلى
 منتصف الطريق الذي يؤدي إلى
 السوق بأربعة فلوس ..
 وفي أقل من دقائق خمس ، وجد
 نفسه في وسط الزحام .. نوق
 قليلاً يسترد أنفاسه المتعبة ، وشعر
 بنسي غريب تطعم به نفسه ، شعر
 أنه شيء كبير بالنسبة إلى هذا الحشد
 الهائل ، فما كان يظن أن احدا منهم
 يملك عشرة فلوس ، أما هو ، فلديه
 درهم !!
 أي شيء يصنع به !! - لقد شعر
 بحيرة كبرى ، لا يظن أنه صادف
 مثلاً من قبل ، كيف ينفق هذا
 الدرهم ..
 ان الباعة من مختلف الاصناف
 يملأون الأرض حتى لم يتركوا مكاناً
 أقدم : أي شيء يشتري ..
 ان الباعة يدللون على بضائعهم

بمبارات منعمة ومسجوعة ، وبالحان صاخبة لا تدع مجالاً للنفس أن تدفق أو تحتل .. ولقد تملكته رغبة قوية في أن يشتري مسن كل شيء .. « دوندرمة بوز » صمون وعميسة ، حب لوز ، كركزي ، ييض الكلك ، علوجة ، سمسمية ، اييض وييض ، طرشي نبع ، شربت تمر هند ، بادم .. ولكن كيف !.. أن أكثر هؤلاء الباعة لصوص ، هكذا قال له أخوه جاسم مرة حين أعطاه جيلارهم « رشا » عشرة فلوس .

— تريد أن يسرقها الباعة .. ثم انتزعا منه واستألا بها لنفسه وظل يحمل هذه الفكرة من الباعة ، إلى ذلك الوقت ، فخشى أن هسو اعطاه إلى أحد هؤلاء الباعة أن ينكره عليه ويسرقه منه .. حينذاك أي شيء يستطيع أن يفعل !.. وهيسه صرخ ويكي واحتج ، فغن هو الذي سيصدق أنه يملك درهما .. ووجد نفسه تمتليء حنقا على أخيه جاسم ، لو أنه الآن معه لما خشى أحداً ممن هؤلاء الباعة ، وأحس أنه يتقزز منهم هؤلاء الذين لا يتورعون عن سرقة واحد مثله .. ودون أن يشعر وجد أ. اصابعه تنقبض على الدرهم بقوة ، كما لو أن أحداً ما يافتصابه منه .. وبينما هو كذلك ضربه أحدهم بكتفه

صدر حديثاً من :

دار صادر - دار بيروت

لسان العرب

الطبعة المتأخرة

صدرت منه الأجزاء :

٥٢ - ٥١ - ٥٥

وهو يمدو وخلفه صبيه يخصبونه بالحمص وهم يتضاحكون ويصرخون ، فتشد من قبضته على الدرهم ووضعها على صدره ، ثم ابتعد قليلاً .. فلقد ظن أنهم أحسنوا بالدرهم فجاءوا يتزونه منه بهذه الطريقة ، بأن ينحني أحدهم خلفه ويدفعه آخر إلى الأوراء فيسقط ، ثم يتجهرون عليه ويتزعون منه الدرهم .. وحسين وجدهم يعتدون عنه ويلجسون بعيداً شعر بشيء من الاطمئنان ، كما لو أنه تخلص من خطر محقق .. ودون أن يدري كيف وجد أنه يقف أمام أحد دروايل الهواء وهو يعلو ويهبط بالأولاد ، وهم في فرح عظيم لا يوصف ، فاحس بالفرحة ، وتمنى لو أنه استطاع أن يتخلص من هذا الدرهم القمين الذي يشل خطواته وينسحب عليه بهجة العيد ، ولمنسى صادقاً لو أنه لا يملك أكثر من عشرة فلوس ، إذن لتقدم بخطوات ثابتة إلى صاحب الدولاب وأعطاه إياها وهو راض مطمئن ، وحيدانه يستطيع بكل حاسي أن يشترك أتراه فرحهم وإبتهاجهم بالعيد ، أما الآن ، فهو لا يستطيع أن يفعل إلا يسرق منه الدرهم ، وأحس قلبه أن هذا يسرقه عينا على أخيه جاسم .. ماذا كان يحدث لو أنه أصبح الآن !.. أنه من دون شك كان يشعر بقوة تسده ، ولما خشى أحداً من هؤلاء الباعة أو هؤلاء أصحاب الدوايل أو العربات ، ولما فكراحد من هؤلاء أن يسرق الدرهم منه ، والا فإن أخاه جاسماً ، يستطيع أن يتمازك معهم ويطنش بهم .. وردد في نفسه : — سوف لا أعطي الدرهم حتى ولو مزقني أرباً .. وبينما هو في هواجسه وحيرته ، ضربه أحدهم بجلده على ظهره ، فالتفت لمضجورا وقد تحفز للدفاع عن درهمه حتى النفس الآخر .. ولكنه وجد ثلاثية احمرّة مكتسة بالصغار وهم يصفقون ويغنون بصخب « يا لسمرة روي » غرج فلا حيت « يقودها صاحبها ليشق لها طريقاً وسط هذا الحشد الصاخب الذي جاء يحتفل بالعيد .. فظل يرقبها ونفسه تتحول النسي حراساً يزفرها بحرقة وتوجع .. وراعه أن بدا تربت على كتفه وصوت يقول له :

— لماذا تقف هكذا جامداً ..

عالمب ليسرى صاحب الدولاب ينظر إليه نظرات خيل إليه انهيسا غريبة متحفزة لسرقة الدرهم منه .. وتابع صاحب الدولاب قوله :

— لماذا لا تركب في الدولاب .. الا تملك عشرة فلوس !.. لم يستطع شوقي أن ينس ، فلقد ناكذ لديه أن الدرهم يسرق منه لا محالة لو أنه اطاع هذا الرجل المحتال وركب في دولابه ..

ولقد هم أن يستغيت ويستنجد ، فوجد أن صوته يموت في فمه ، ولم يستطيع أن يحرك شفتيه ، سوى انها كانت ترتجفان وقد علاهما الغلاب .. فعلبت الرجل الشفقة عليه ، وقال بحزن واسف :

— أخرس .. هل أنت أخرس ! ويجهد جييد ، وكما لو أن أحداً أراد أن يسرقه بصفا ، صرخ شوقي بفرع ورهب :

— صمي واتلقى هاربا ، وقبضته مشدودة بمنف على الدرهم ، ولقد كاد يسقط أكثر من مرة وهو يتعثر بعرضات الباعة وبأوانيهم وبأبوابهم ، ولكنه لم يلتفت ولم يسمع سباب وشائهم ألباعة الذين كان يتعثر بهم ، فقد كان يخيل إليه أنهم جميعاً يطاردونهم ليتزموه منه الدرهم .. فصاعف من عدوه ولم يقف إلا حين صنفق خلفه باب دارهم بقوة ، والقي بظهمه عليه وهو يلهث وينشج وينضع منه عرق غزير .. وكانت السلسلة تضرب الباب ضربات سريعة متقطعة وكأنها كانت تشاكره خوفاً وفزعاً : ومسا كادت امه تراه على هذا النحو ، حتى هبت لتجفونك لتري أي شيء حدث لولديها ، فصرخت فيه بفرع :

— ماذا بك ..

ودون أن ينس يعرف مد قبضته إليها وقد كانت يده ترتجف ، وجسمه كله يضطرب ، ويجهد قال :

— خذيه .. لا أريده .. أي شيء .. :

— الدرهم .. إذ .. هم .. ارادوا أن يسرقوه ..

وحين فتح قبضته لم يكن الدرهم موجوداً فيه .. لقد ضاع منه في الزحام دون أن يشعر .

بفساد عبدالله نيازي

التمثال

○

وترائيم صلواتي البكر
ضننت بصنيعي أن يناله القناء
فنصبت معلما للذكرى
ووهبت رمزا للوفاء ، يفقر ويتسامى
ونصبا للعقوب يجحد ويستعلن

★

حتى إذا مر الناس من هنا
وتراءت لهم جنة مصوحة الازاهير
حزينة الظلال مطرقة الفصول

خرساء البابل

فأضبه القدران

قد فكك في فناها شبح للطفل
المنجح المسدد السهم ، تمفر الجبين ،
شاحب الوجنتين ، مشعث النضارة
ماتت على شفتيه اغنيات الحب
وجف في حلقه رضاب النشوة

.. مصوا شفاههم حشرات

ورقت في أرواحهم غمضات حزينة
وترقررت في عيونهم دمعات يائسة
وهتفوا هتافا خافتا كجناز الغروب :
هنا كان عرس للجمال صنعته الحب
وهنا .. كانت جنة للوفاء

صوحا القدر !!

رضوان ابراهيم

القاهرة

لا .. لم تكوني فاكهة حلوة المذاق
ولكن الحلوة في لساني تلتقتك
فأحالتك رضابا شهيا عذب النشوة

★

لا .. لم يكن مراك بهجة العيون
ولكن عيني الوامقة خلعت عليك
الجمال الموهوم
والبستك من التهاويل الموشاة
ما لم يتح لقينوس من سحر وبهاء

★

لا .. لم تكن بك الشافية الملتبها
الآسرة
لكن نعومة أمانلي طامنت من أسنة
أنشواك

فبدت فيها نضرة الورود اليانعة
تحتسي من ضياء يرتعش تحت
رفيف أجنحة الملائكة

★

بأناملي صنعت تمثالي ..
وبهامتي سجلت على أقدامه أمجدته
حتى إذا طالت بي ضراعة السجود
ولم تتجاوب صلاة الحجر مع
رعشات قلبي
وشهقات دمعي الطهور

السام والنشوة

لم يول السام - كدافع من دوافع السلوك الانساني - العناية التي يستحقها في رأيي . واني اعتقد ان هذا الدافع كان احدى القوى المحركة خلال التاريخ المعروف ، وان تأثير هذه القوة اصبح اقوى واشد في الوقت الحاضر . ويسود ان شعور السام امر يتميز به الانسان فقط ، وان كان مسن الصحيح ان الحيوان اذا كبنت حوته يشعر بالقلق والاضطراب والملل ، اما في حالته الطبيعية فاني اعتقد ان شعور الملل بعد شيئا قريباً عنه . فالحيوان يفضي وقته في البحث من الامعاء او الطعام او عن الاثنين معا . وحيانا يعضني الوقت في التزاوج او الاستغناء . وفي اعتقادي انه حتى في الاوقات التي لا يشعر فيها الانسان بالسعادة فان شعور الملل لا يساوره ، ومن الجائز ان انواع السامة من القردة تشترك مسج الانسان في هذه الناحية ، كما تشترك معه في بعض الخواص الاخرى ، ولما كنت لم اعش مع هذه الانواع من القردة ، فانه لم تتح لي الفرصة لاجزم بذلك .

ومن عوامل السام ان يقارن الانسان بين ظروفه الحاضرة ، وبين ظروف اخرى يعتبرها اكثر ملائمة : لا تفرس نفسها على مخيلته . ومن هذه العوامل ايضا الا تشغل طاقات الانسان بأكملها . فالقوار من وجه العدو الذي يود استئصال حياته امر مفزع حقاً ، ولكنه امر لا يدعو الى السام . ولا يشعر المرء بالملل في

الوقت الذي يلق فيه نجل المشتبه حول رقبته ، اللهم الا اذا كان لديه من الشجاعة ما يفوق طاقة البشر ، ومن امثلة ذلك انه لم يحدث قط ان تثار أحد أعضاء مجلس اللوردات البريطاني وهو يلقي خطاباً فسي المجلس الا مرة واحدة ، وذلك حين التي دوق ديفونشير Devonshire السابق خطابه . وقد اكبره جميع اللوردات لهذا السبب . وما الشعور بالسام الا رغبة مكبوتة لدى الفرد في ان تتقلب الحوادث ، سواء كانت شقة او لم تكن كذلك ، حتى يستطيع المرء ان يتبين يومه من غده . وعكس معنى السام ليس الهروب بل النشوة والاحساس بالنشوة رغبة اميدية في نفي البشر . وخاصة في الدكور منهم . وربما عاد ذلك الى السهولة التي يمكن بها ارضاء هذه الرغبة في مصور الانسان الاولى حين كان يعتمد على القنص . فقد كان الصيد شيئاً مثيراً ، وكذلك كانت الحرب ، كما كانت ايضا العلاقة بين الرجل والمرأة ، كان الانسان البدائي يحاول القيام بالعملية الجنسية مع امرأة بنام رجلها بجانبها ، وهو يعلم ان الموت محقق له اذا استيقظ الزوج . هذا الموقف ليس فيه ما يدعو الى الملل . ولما بدأت المرحلة الزراعية تسط سيطرتها في حياة الانسان ، فقدت الحياة شيئاً من جدتها بالنسبة للاستقرار الذين ما زالوا يعيشون في مرحلة القنص . ونحن نسمع الكثير من الملل هذا ينتج من انتشار الآلة ، ومع ذلك فاني اعتقد ان هذا الشعور لا يقل في البيئة الزراعية التي تقوم على الوسائل العتيقة عنه في البيئة الصناعية . بل اني اقول بعكس ما تشدد به عدد كبير من المصلحين ، ان العصر الآلي ساهم الى حد كبير في

امداد روح السام عن العالم . فسماعات العمل بالنسبة للعامل المجبورين لا يسودها الوحدة او الانفراد ، كما ان لدى هؤلاء العمال من انواع التسلية ما يستطيعون به ان يقضوا امسياتهم . والتدخل في اعتبارنا ايضا التفر الذي طرأ على حياة الطبقة المتوسطة الغلى . ففي الابام الماغيبية كانت الزوجية تجلس بعد العشاء ومن حولها بنائهم بعد ان يزول الاطباق ، ليستمتعن بما يسمى «اجتماع هالتي سعيد» . ومعنى ذلك انه رب العائلة قد ذهب لينام ، انما تخطيط الزوجة المايس ، ويتمنى الفتيات فيما بينهن وبين انفسهن لو ار الموت لحق بهن . فليس سمسو حالهن بالقرود ، ولا بالخروج من القرية . واذا كان حظهن سعيداً فانهم يزوجن ، وينجبن اطفالاً يفرسهن عليهم شيئا اكثر طاعة من الشياك الذي عشته انفسهن . وان لم يكن لهن هذا الحظ صرن عوانس ، وذلك من غير شك مصر مظلم شبيهة بالمصير المظلم الذي يفرسه الوحش على فريسته .

يجب اذن ان ندخل في حسابنا كل هذه العوامل التي تدعو الى السام حين تقدر العالم كما كان قبل مائتي عام . وكلما اردنا امثالاً في الماضي ، التي تجملت لدينا العوامل المتعددة التي تدعو الى هذا الشعور . ولنتصور مثلاً شتاء كتيباً في احدى قرى المصور الوسطى . الناس هنا لا يستطيعون القراءة او الكتابة ، وانما لديهم الشروع التي يضيئونها حين يقبل الظلام ، والدخان السدي يخرج من الشمعة يملأ عليهم جو انزقة الباردة . وفي الخارج كانت الطرق مقفرة ، وكان من التادر ان تلقى شخصيتان من القرية المجاورة . انه الشعور بالسام الذي دعاهم الى ابتكار لمة الغاريت . كوسيلة مسن

مجموعة اولادنا

خير ما يستهوي الباب الناشئة من
لفص البطولة والروسية والمخبرات
الجميلة .

- ١ - عمرون شاه
- ٢ - ملكة السحر
- ٣ - كريم الدين البغدادي
- ٤ - آلة الزمان
- ٥ - الاسر والفكر
- ٦ - كتاب الادغال
- ٧ - بينوكيو
- ٨ - كبوة النجم
- ٩ - روبن هود
- ١٠ - دون كيشوت
- ١١ - اينهسو
- ١٢ - جزيرة الكنز
- ١٣ - كنوز الملك سليمان
- ١٤ - سجين زنبدا
- ١٥ - الزنبقة السوداء

لن الكتاب ١٢٠ غ.ل. او ما يعادلها

لن الجزء السابع ١٥٠ غ.ل.

تحت الطبع

- الربان بلود
مون فليت
مقبرة الافيال

طلب من متعدد التوزيع العام

دار المعارف بيروت

لصاحبها . ا. بدران

بنية الصلي - السود ص.ب ٢٦٦١

عمري - فلا أمل الى هذا الاعتقاد .
فليس من الحكمة في شيء ان يتصرف
المرء في قدرته الحيوية كما يتصرف
في رأس المال المادي . وربما كان
الشعور بالسأم عنقضا ضروريا مسر
عناصر الحياة . كما ان الهروب من
هذا الشعور أمر طبيعي . ومن
الحقائق المقررة ان الانسان على
اختلاف اجناسه يحاول ذلك دائما
كلما سحت الفرصة . فقد انتهى
الموحدون حين علمهم الرجل الأبيض
احتواء الخمر الى وسيلة يستطيعون
بها ان يتخلصوا من هذا الشعور
الدائم بالمل . وهو لا تدخل الخمر
والقوانين لثمل هؤلاء الرجال . حتى
الموت . وما الحروب والمناوشات ،
واتواع الاضطهاد الا بعض مظاهر
الهروب من السأم . حتى المنازعات
مع الجيران خير من لا شيء . ولذلك
فان الشعور بالسأم يعد مشكلة هامة
من المشاكل التي يواجهها رجل الاخلاق ،
لان هذا الشعور يعد أصلا لنصف
خطايا الانسان .

ومما يكن من شيء فان السأم
ليس كله شر . فانه يبعث على
هذا الشعور في اولها مشقة ، واقلها
ليس كذلك . ويرجع الولا الشرح
مناقشة المخدرات ، وشيب الثاني هو
افتقاد القدرة على ممارسة أي نشاط
حيوي .

ولست أود ان أقول ان المخدرات
ليس لها فائدة ما في الحياة . ففسي
بعض الاحيان ينصح الأطباء بتناول
أنواع من المخدر ، وتعدد هذه
الاحيان للرجة لا يتصورها انصار
منع السكرات . غير انه من المؤكد
ان الرغبة في الشراب شيء لا يمكن
تركه على طبيعته . ولست أفرح
علاجا لذلك الشعور بالمل السذي
بعنه السكر اذا مننع من الشراب
القيم الا ان يتولد ذلك الزمن . وما
ينطق على شرب الخمر - بنطيق
أيضا - الى حد ما - على كل انواع
الاستشارة الاخرى . فالحياة الصالحة
تستفيد الانسان ، لانها في حاجة
دائمة الى دوافع أشد وأقوى تثير
في الانسان تلك النشوة التي يعتقد
انها جزء لا يتجزأ من الفذة . والعريذ

وسائل التسلية في امسيات الشتاء .
ونحن الان نعاني السأم بصورة
اقل من اسلافنا ، وان كان خوفنا من
هذا الاحساس أشد منهم واقصق .
فنحن نعلم ، بل نعتقد ان السأم ليس
أمرأ طبيعيا في حياة الانسان ، وانما
يمكن القضاء عليه بتأدية الاشياء
المثيرة . لذلك نرى فتيات اليسوم
يكسبن عيشهن بأنفسهن ، حتى
يسرن لانهن قضاء الامسيات
المرحة ، والفرار من ذلك الاجتماع
العائلي السعيد الذي استمتعت به
حداهن . وكل أنسان يحاول اليوم
ان يعيش في المدينة ، واولئك الذين
يعيشون بعيدا عنها يشكلون سيرة
اه عجلة بخارية يستطيعون بهما
الدهاب الى السينا . ومن الطبيعي
انهم يملكون اجهزة الراديو في مساكنهم
كذلك يستطيع الشبان والفتيات اليوم
ان يلتقوا دون ما مشقة ، كما تستمتع
فناة اليوم بنواع من اللذة في خلال
اسبوع لا تستطيع ان تحققها بطلة
من بيلات جين اوستن Jane Austen
خلال فترة طويلة . وكلما ارتفعنا
في الميزان الاجتماعي ، كلما
اصبحت متابعة الاشياء المثيرة أكثر
منفا . فانت ترى ذوي المصدرة
ينتقلون من مكان الى مكان ، يعملون
معهم انواع المرح ، وفنون الرقص
والنشوة ، وهم يستمتعون بهما
كله كلما انتقلوا الى مكان جديد . اما
اولئك الذين يعملون لكسب عيشهم
فانهم مضطرون الى الاحساس بالمل
كما يحسون بالعاجة ، بينما يضع
اولئك الذين يمتلكون المال مسا
يستطيعون به التحرر من قسوة
العمل لنصب أعينهم حياة لا يشوبها
الملل .

وهذا من غير شك مقصد نبيل ،
ولا أستطيع ان أوجه اليه أي نوع من
النقد ، وان كنت أعتمد ان تحقيقه
أشد عسرا مما يتصور اصحاب الملل
الطلي . ففي الصباح سيماتي المسر
من الملل بقرما شعر بالنشوة والسرور
في المساء السابق . ومن المحقق ان
كل فرد سيعر بالنشوة والكهولة .
وفي العشرين يحس هؤلاء الرجال ان
نهاية حياتهم ستجيء في الثلاثين اما
انا - في الثانية والخمسين مسن

ينسب إلى حد كبير شخصاً نفس في نفسه ميلاً شديداً إلى تدوq الغفل والاستمتاع به ، فاتته به الأمر أخيراً إلى أن أصبح عديم التأثير بأي قدر منه كقيل بان يؤدي الإنسان العادي . وما لا شك فيه أن هناك عناصر من عناصر الملل يرتبط بالتوقف عن مزاولة اللذة العارضة ، وهذه اللذة لا تحلم الصحة فحسب ، بل أنها تفقد الإنسان القدرة على تدوq أي نوع من أنواع السرور ، فهو يكتفي بالأحاساس العابرة بالمتعة ، بدلاً من أن يحس بالارتياح النفسي العميق ، كما أنه يستبدل بالحكمة الملهمة السطحية ولا يستطيع تقدير الجمال ، وإن كان يثار للحركات المصطنعة . ولا أريد هنا أن يكون اعتراضي على التشوش اعتراضاً كلياً . إذ أن القدر المناسب منها شيء لا بأس به ، فالمسألة هنا ، كما هي في كل الأحوال مسألة نسبية . فالقدر الضئيل منها قد ينتج عنه انحراف في الرغبات ، كما أن الإكثار فيها قد يؤدي إلى الاستهلاك الكلي للإنسان ، وعلى هذا فإن التدوq على تحمل السأم أمر ضروري في الحياة وهو شيء يجب أن يتعلمه المرء منذ الصغر .

وتنضم أهميات الكتب فصولاً تدور فرائدها إلى السأم ، كما تخللت سير العظماء فترات مملّة . ولنتصور مثلاً ناشرًا حديثاً ، وإمامة نسخة مسن المهد القديم طلب إليه نشرها لأول مرة . الواقع أنه ليس من الصعوبة أن نكنه بتعليقه على ما جاء في «المهد القديم» من أساطير : - يقول (أوه يا سيدي العزيز ! ليس في هذا أفضل حياة ، فانه لا يمكنك أن تتوقع من القراري ارتياحاً عندما يفسروا صفحات طويلة تضم أسماء أشخاص لم تذكر عنهم إلا القليل صحيح أنك بدأت قصتك بأسلوب طريف . وكنت أتوقع أن تمضي على هذا السن ، ولكنك خضت في تفاصيل لا داعي لها . عليك الآن أن تلتمس الخطوط الرئيسية ، وتخلصها من الشوائب ، وتأتي بها بعد أن تنزل بالقصة إلى حد معقول .) وتعليق الناشر الحديث هذا ، يرجع إلى ما يلمسه هذا الناشر

من خوف القاريء من الشعور بالسأم . وسيلق الناشر بنفس هذا الكلام إذا طلبت إليه نفس الشيء بالنسبة للقرآن ، أو نصائح كنفوشيوس ، أو كتاب كزل ماركنس عن رأس المال ، أو أي كتاب مقدس آخر تباع منه الآن كميات هائلة . وليس هذا الأمر صحيحاً بالنسبة للكتب القديمة فحسب ، فإن معظم القصص الطويلة الرائعة تتضمن فصولاً مملّة ، لانه ما من شك في أن الرواية الطويلة التي تمتلئ بالحوادث المنفصلة منذ الصحيفة الأولى إلى النهاية لا تعد كتاباً قيماً . كذلك لم تكن حيويات عظماء الرجال مشرة إلا في قليل من اللحظات الكبيرة الرائعة . فلا بد أن سقاط كان يستمتع من حين لآخر بحضور حفل من حفلات العشاء ، وأنه كان يرتاح للأحاديث التي يتجاذبها أثناء احتشائه الخمر ، كما أنه عاش معظم حياته في صحبة زوجته أكتاتيب Exanthippe وكان يرتاح على أقدامه في المصاري ، كما كان يلتقي أحياناً مع أصدقائه يتجاذبون أطراف الحديث . ومما يقال في كتاب Kant أن من يتعلم قطيعاً من مدينة كونهجبرج Songberg التي عاش فيها أكثر من عشرة أميال ، طيلة حياته . أما داروين فإنه قبع في غفر بيته ، وذلك بعد أن قام برحلة طاف خلالها حول العالم . أما ماركنس ، فإنه يصعد أن حرك ثوراته ، ورضي لنفسه أن يعضي البقية الباقية من حياته في ركن من أركان المتحف البريطاني British Museum ويمكن أن نقول بوجه عام أن الهدوء كان صفة تميز بها حياة عظماء الرجال ، وأن مسراتهم لم تكن من النوع الذي يعد مشيراً . ولا يستطيع المرء أن يحقق أية غاية عظيمة إذا لم يكرس نفسه للعمل الدائب الصعب الذي يستغرق عليه نفسه ، والذي لا يترك له من الطاقة إلا النزر اليسير ، فلا يستطيع بعد ذلك أن يجهد نفسه في مزاولة اللذات العتيفة ، وأتسما يقتصر الأمر على تجديد طاقاته الجسمية خلال أيام العطلة . ولعل أروع عمل لهذه اللذة هو تسلق الجبال . والقدرة على تحمل الحياة الرتيبة أمر يجب أن يتعرض به الأطفال في سني

حياتهم الأولى ، غير أن الآباء في العصر الحديث لا يعنون بهذه الناحية ، وهم يلامون على ذلك ، فأنهم يزودون أطفالهم بمختلف أنواع التسلية الليلية ، كالأفلام السينمائية ، والطعام اللذيذ ، ولا يدركون أهمية الفائدة التي يجنيها الطفل عندما يمر به يوم يتلوه آخر شبيه به ، إذ أن الواقع أن الطفل ذاته عليه أن يستمد مسرات طفوله من البيئة المحيطة به أولاً وقبل كل شيء ، وإن يبدل في سبيل ذلك بعض الجهد والتفكير لذلك يجب ألا يستمتع إلا نادراً بذلك النوع من اللذة المشرقة والتي لا تنضب في نفس الوقت أي مجهود جسمي كشاهدة المسرح مثلاً . فطبيعة الاستشارة هنا ستكون من طبيعة الخمر ، ترداد الرغبة فيه كلما فرط الإنسان في تناوله . كما أن إكدام النشاط الجسمي هنا يتعارض مع المرزقة . والطفل في نموه كالكاتب يشعر أحسن الشعر إذا لم يقلل من نزيته . فكثرة الأسفار ، ومسنند الأحاساس ليست مما يستحسن بالنسبة لتربية الأطفال لأنها تفقدهم القدرة على تحمل الحياة الرتيبة . ولا أقصد أن لهذه الحياة ميزاتها الخاصة ، وإنما أقصد أنها تؤدي إلى حد ما إلى تحقيق بعض المزايا العنة خذ مثلاً قصيدة الشاعر وردزوث Wardsworth Prelude فإن كل قارئ سيدرك تماماً أنه ليس من اليسر على أي شاب حضيري معقد أن يترك المهاني ذات القيمة في أفكار وردزوث وأحاساسه . وليس من شك في أن الشاب الذي يهدف إلى البناء سيتحمل طوع إرادته أي إحساس بالملل ، مهما بلغ هذا الإحساس من الضخامة ، إذا كان ضرورياً لتحقيق أغراضه . وهذه الأغراض البنائية لا يمكن أن تجد منفذاً لها في عقل الشاب الذي يعيا حياة من الترف ، واللذة العرفسية . فإن تفكيره في هذه الحالة سيكون منصفاً على اختبار أنواع السرور التي سيمارسها في المرة المقبلة ، بدلاً من أن يكون منصفاً على الفرض البعيد الذي يشغل الشاب الجاد بتحقيقه .

ويعتبر الجيل الذي لا يتحمل ابتلاءه الشعور بالسأم جيلا من صفار الرجال ، الذين لم يتبرسوا بمسد بتجارب الطبيعة الطويلة المدى . أولئك الرجال الذين ماتت فيهم أي رغبة حيوية ، كأنهم زهرات مقطوفة صفت في زجاجة .

وإنا لا أحب لغة التصوفة ، ولكني لا أرى وسيلة لتجنب بها استخدام بعض العبارات الشعرية ، ذلك أنه رغم كل ما نطغنه في أنفسنا فأننا مخلوقات أرضية ، وحياتنا جزء من حياة الأرض ، فنحن نستمد منها غذائنا كما يستمده النبات والحيوان . والوبرية التي تسير عليها حياة الأرض وتيسر بطيئة ، فالخريف والشتاء ضروريان لها ، وكذلك كان الربيع والصيف ، والنبات ضروري كما أن الحركة ضرورية ، ومن واجب الطفل قبل أن يكون من واجب الرجل أن يظل وثيق الصلة بموائل المسد والجزر في الحياة الأرضية . فقد

خلق جسم الإنسان وهو يتلاءم مع هذه الوبرية منذ الأزل ، ويمتثل الذين هذا المبدأ حين نص على عيد الفصح . وأذكر أنني رأيت طفلا يبلغ من العمر عامين قضاها في مدينة لندن ، وأبنته وهو في أول رحلة له في الريف الأخضر . كان الوقت شتاء وكان كل شيء مبللا أو مغطى بالوحل . ولم يكن لمة ما يشير في النفس أي شعور بالرح ، ومع ذلك فقد انبعث في نفس الطفل نشوة غريبة ، فركع على الأرض البتلة ، والصق وجهه بالحبشائش ، وتذنته صحبة متكونة تنم عن الفرح . وليس من شك في أن هذا الفرح كان شعورا بدائيا بسيطا ولكنه كان في نفس الوقت شعورا دافقا . والحاجة الحيوية التي أصبحت هنا كانت عميقة الجذور ، ويندر أن يكون أولئك الذين لا يشبعونها في شيء من صحة العقل ، وهناك أنواع عديدة من اللذة لا تنطوي على عنصر الارتباط بالأرض . ومثل منها لعب الميسر ، فهذه اللذة حين يتوقف الشعور بها تخلف وراءها أحاسيا غامضا يعدم الوضيا . ولا يمكن أن نسمي أنواع اللذة هذه مرحا . أما

للك التي ترتبط بحياة الأرض فهي على العكس من ذلك تؤدي إلى شعور عميق بالارتياح . وإذا توقف الأحساس بها ، فإن المرء يظل يشعر بالمسادة التي تحتج عنها ، ويمشي هكذا التمييز بين نوعي اللذة على اختلاف درجات الحضارة . فالطفل الصغير الذي تحدثت عنه منذ لحظة كان يمثل مظهرا بدائيا من مظاهر التمثل لحياة الأرض . ويمكن أن نرى في الشعر مظهرا أرفع من مظاهر هذا التمثل ، وتستمد مقطوعات شكسبير الفنتازية روعتها من ترددها لهذا الشعور بالرضا الذي أحس به الطفل حين امتنق الحبشائش . لتقرأ مثلا قصيدة شكسبير التي تبدأ هكذا : « انتص ! انتص ! انتص ! هذا هو الهزار » أو تلك التي تبدأ بهذا المطلع « تعالي إلى هذه الرمال المصفرة » . هنا ستجد تعبيرا وتعبا في الشعر عن ذلك الأحساس الذي عبر عنه الصبي الصغير بالصيحات المكتومة . أو لتحاول أن تجد التناقض بين الحب وبين العاذلية الجنسية . فالحب تجربة يتجدد بها وجودنا ويتعش ،

كما يروي المطر النبات بعد الجفاف . ولا يحدث شيء من هذا إذا جسد الاتصال الجنسي دون الحب وحين تنتهي اللذة العابرة يبعث التمسب والاشمئزاز والشعور بتفاهة الحياة . فالحب جزء من حياة الأرض ، وليس الجنس المجرد من الحب كذلك . وهذا النوع من المل الذي يعاينه الناس في المجتمعات الحديثة ترجيع اصوله إلى انفساهم عن حياة الأرض . فان هذا الانفصال يجعل من الحياة شيئا حارا متربا ظاهريا كرحلة الحجاج في الصحراء . والشعور الدائم بالمل الذي يسيطر على الانبياء ممن يمكنون من الثروة ما يمكنهم من نسق طريقهم في الحياة ، هذا الشعور يرجع إلى خوفهم من المل ذاته . وهم حين يهربون من السأم الذي له قيمة متمرة ، ينعون في النوع الآخر الهدام . والحياة السعيدة يجب أن تكون إلى حد كبير حياة هائلة ، لأن المرح لا يمكن أن يستمر إلا في جو مسمن الدود .

عادل سلامة القاهرة



ومفك

كبحر تمزقه عاصفه
وتلهب أمواجه الظلمه
سيناط البسروق
وحبي كحلم الغريق
قييل النهاية
تلمح طيف البداية
ولكن حبي عميق
وحقك .. حبي عميق

علي الجندي

دمشق

أحبك يا « زهرتي » كالأمل
وحبي كاليأس مرة عميق
كبحر الازل
وكالموت حبي عجب
كصمت الغروب
كمثل الشروق
وهمس الفزل
ومثل الخجل
وحبي أسود ، حبي خطير
كوسم القدر

الطفولة البريئة

ينا حلم الأيام والعمر
حافلة أسمى من الشعر
ساكنة ، تطفح في بشر
يعطر البيت من النثر
فتتوي باسمه الثمير
ضاحكة في روعة البحر
عائرة الاقدام اذ تجري
في عشا الدافي الى صدي
وصفحة الاجيال في فكري
وذات الانفاس في عطر
مقلّة الاجفان لا تدري
لا تلتقي إلا مع الطهر !

كاظم محمد حسين

« بنيتي » يا بنة الفجر
يا من لها في النفس انشودة
يا من لها روعي ، باعماقها
ويا شذى يبعث ملء الفضا
كم مرة ناديتها باسمها
وترفع الطرف باشراقه
يا با .. وتنسل الى موضعي
فترتمي كالطير هفافة
طوقتها والحب في فاطري
فأرجت الاطراف نشوانة
أغقت مع الزهر باندائه
في نسما الاسرار مجموعة

الحراق - الحبي

الصفار في السوق

بقلم جان الكسان



معيشتنا ، لذلك عليكما ان تشغلا
لساعداه .

كانت مفاجأة غير متوقعة احتجج
عليها اخوه بنظرة استنكارية ، اما هو
فأراد ان يناقش والدته فقال لها :

نحن صفار ولا نستطيع ان نشغل .
وكانها كانت متعبة للجواب فردت

فورا : ان شغلكما سيكون بسيطا
جدا اذا تعاونتما عليه : عليكما أولا

ان تنهضا من النوم مبكرين ، وتذهبا
الى سوق الخضرة ، وهناك سيشتري

لكما جازنا فرج - وهو دلال فسي
سوق الخضرة - كيسا من الخيسار

وسيجل ثمنه عليكما رخيصا ، ولسي
مكان متوسط من السوق اقربا

كيسين فارغين تأخذلها من البيت ،
ثم افرجا كيس الخيار فوقهما ، وتذاب

عليه ، وسيشتري منكما الناس حتى
اذا بعنما الكيس ، ندفع لجارنا ما له ،
وبيعي الباقي ربحا حلالا ..

- والميزان ؟
- استاجرا واحدا من احد
الدكاكين .

- وغريبة الارضية
- خالك ابراهيم هو الجاني ، وتد

قال انه لن ياخذ منكما الارضية .
اراد اخوه ان يعترض ، ولكن دخول

والده في تلك اللحظة جعله يتنلسع
اعتراضه على مفص ، وفي سابعة

مبكرة من صباح اليوم التالي ايقظتهما
والدهما ويستهما ثيابا عتيقة ، ثم

حظتهما كيسين فارغين ورفيغا من
الخيز ، ودفعتهما حتى الباب بمسد
ان اوستهما بالذهاب أولا الى جارههم
فرج واخطره بوجودهما .

زميله (سعيد) في احسن عيشة ،
ياكل اطيب الطعام ، ويلبس احسن
التياب مع انه - سعيد - برقع درجة
شطارته وهما في صف واحد ، كانت
تقول له : « يجب علينا نحن الفقراء
الا ننظر الى من هم اعلى منا ، بل الى
الذين هم اقر » . ويبحث هو عن
هؤلاء الذين هم (اقر) ، فلا يجد
سوى هؤلاء المحرومين من كل شيء ،
المشردين في مدرسة الازقة المظلمة
الباردة ، مدرسة الجوع الكافر العنيد
الكب على صناديق المذابل والقممات .



نجح الى الصف الخامس ، ونجح
أخوه الذي صغره به واحدا
الى الصف الرابع ، اما زميله سعيد

لم ينجح .. واعلنت المدرسة
ايوبها ، فاذا بسعيد الذي لم ينجح
يتأخر البلدة مسج اهله الى المصيف

الجميل ، اما هسم ، هو ، واخوه ،
والاخرين ، فقد ظلوا في البلدة لبيب
يسيط وهو ان اهله لم يذهبوا الى

المصيف .
ذهب سعيد ، واجتمع صبية حي
باب السلام ، واعدوا متاجح العطلة

الصيفية فعددوا فيه اشياء كثيرة
من ذهاب للسباحة في النهر ، وصيد

المصافير بالقيقات ، واللب بالكرات
الزجاجية الملونة ، ولم يسوا ان

يتفقوا على ان يدفع كل منهم نصف
ليرة سورية لشراء كرة قدم لعبون

بها في الساحة القريبة من الكنيسة
المسكونة .

انتهى الصبية سريعا من وضع
البرنامج ، ولم يبق الا التنفيذ ، ولكن

احلام فتحي واخيه سرعان ما تهدمت
من اساسها عندما قالت لهما والدتهما
از والدكما يتعب كثيرا ليكسب لئسا

اخوه ، وهو ، وكثيرون غيرهما من
ابناء حي باب السلام ، الذين
تقذفهم الطبيعة الى الحياة في بيوت
حقيرة شبه مظلمة تتراحم صल्ली
شفا النهر الصغير الضحبل المياه ،
والمنسب باصياء في طرف البلدة
الشرقي ، فلا تستقبلهم الى دابة الحي
الدرديس ، وجارة تدفعا بقية من
انسانية لتساعد الدابة في مهمتها ،
وتطلق زغرودة ضعيفة سرعان مما
تختلج وتلألى في رقبتهما الرفيعة
المعروقة ..

اخوه ، وهو ، والاخرون ، يسومهم
ابناء الحفر او ابناء الدراوش ، وكانهم

من غير طينة الذين يولدون ونسي
امواهم ملاسق الذهب ، والصف

تعمل الى الناس ثانيا ميلادهم السعيد ،
ثم تجعل عليه فتطلب لهم المعاملات الطويل
ولهذا ، صرف هسو ، وعرف اخوه ،

وعرف الاخرون ، ان عليهم الا يحاول
احدهم التناول الى اكثر من الاشياء

البسيطة المتعارف عليها في حياتهم
التي تسير بروين واحد ، فيه وتابة ،
وفيه مشاكل ، وفيه مضامفات اخرى

كثيرة ..
وكان هو ، فتحي ، يشعر بهذا
مند وعط طوفونه الاشياء ، وقررت

بين الاولان ، وكان يتالم لذلك فيصدق
عن المبيع الاولاد في الحارة لينزوي

ويفكر .. ولم يكن تفكيره بالطيبس
يتعدى الحدود الساذجة كثيرا ، إذ

ان نظرتة الطفلة الى هذه الظاهرة ،
ظاهرة العوز التي تعانیه لمره ، كانت

تنحصر فقط في ان الحظ لا يحالف
والده ، كما يقولون له ، بالرغم من

الكفاح الطال المنيذ الذي يخوضه
في معركة العيش .. اما أمه فهتسو
يسمع منها دائما جملة (الحمد لله)
على كل حال .. كل شيء قسمسة
ونصيب) فاذا سألها من سبب وجود

وعلى مقربة منه وقف بعض الرجال
حول ثلاثة أحمال من الكوسا توسطها
دلال دبري الأصل اسمه حمود وهو
يصبح: ٢٥ .. ٢٦ .. على أونة ..
فروي ينزل حمله بمعاونة زميل له ،
راح نبيع .. يا الله ..
وبرتفع صوب خشن لسروب وهو

خضرجي أرمني ، قصر القامة ، بدين
أحمر الوجه: ٢٧ ويصبح الدلال : على
تري ..
ويفتح باب دكان في الجهة اليسرى
ويقع صندوق بندورة على الأرض ،
ويتشام اثنان من الحاضرين ، ويسر
الصغيران إلى الجهة الشمالية والأصوات

الكثيرة تدق في راسيهما بتلاعب
مزجع ...
كان فرج واقفا بدوره بين الأحمال
بقامته الطويلة الضخمة ، يصيح
والزبد يتطاير من فمه : يا الله
شباب .. خيار قلموني .. افتحي
الزاد ..

— أحد الموجودين : ١٤
ويقول فرج الدلال : ١٤ .. ١٤
يا الله .. ١٤

ويصبح أحد الرجال : ١٥
ويصبح الدلال بدوره : ١٥ .. مين
قال أكثر : ١٥ .. ١٥ .. ١٥ ..
ويقول رجل نحيل ، أصفر الوجه ،
ميناه وطبئان بلون الوحل : ١٦ ..
فيصبح الدلال : ١٦ .. على أونة ..
يا الله ، ١٦ .. على أونة .. على
دوي .. على تري ؟
ولكن فتحي أخاه كأنه يذكره بانها
لم تأت للتفرج بل للشراء والبيع ،
فدأرا في المكان ، وتسلا بين الواقفين
حتى حاذيا الدلال : فقال له فتحي :
حارنا ! ..

فنظر اليهما الرجل المعلق وقال :
طبيب .. استنى شوي ..
وقف فتحي مكانه ينتظر ، والى
حائبه وقف أخوه ويدهد الكيسان
الفارغان ، وباع الدلال صندوقين من
البندورة وكيسا من القليظة ، وكيسا
من الخيار ، وبقي كيس واحد افتتح
مزاده بأربعة عشر قرشا للكيلو الواحد
وطلب من فتحي أن يقول ١٩ ذفصة
واحدة ، وما أن فعل فتحي ذلك حتى
صاح الدلال « على تري ! .. » وسجل
الكيس باسم الصغيرين .

وكانت هذه المناورة المكشوفة
كافية لتجمل انظار الموجودين تتحول
إلى القزمن الصغيرين اللذين تخطيا
مملكة العملاقة ، وقد رأى فتحي في
نظراتهم بعض الإعجاب ، ولكنه رأى
فيها أيضا كثيرا من الرثاء ..
وكما علمتهما والدهما ، اختفرا
فسعة قريبة من إحدى البسطات ،
فرشا فيها الكيسين الفارغين ،
وسجبا الكيس المملوء بمعاونة الدلال
فاغترفاه فوقهما ، ثم راح فتحي يبحث
عن ميزان حتى اهتدى إلى واحد ،
ينصف عمر ، مند صديق لوالده ،
فاستأجره منه بنصف ليرة سورية
بعد يدفعها عنديا بنشني من بيع
الكيسين ورجع الميزان وحمل الميزان
والوزنات إلى دفعنتين بجهد كبير ،



مَا أَرَوَّعَ الْأُمُومَةَ وَأَسْمَاهَا !
أَنهَا تَقْطِيعُ أَفْضَلَ مَا لَدَيْهَا
كَلِيم .. أَحْلَبُ الْأَفْضَلِ

انصليهم قريب ، يصنع الأطفال
بصورة خاصة لتقوية الأطفال
كليم ربيع منظم من الزرع عليه البقر
الطازج ويتقوى مع لفتاة الحلال
لنواطفك وهو ربيع الحاضر سرور
الخصير ويناسب لأنك تستعملين
منه ما تحتاجينه اليه من كيات
ولا تطلبين لدمتقناذ به الح
براد .



كليم افضل حليب

© 1982 by The Syrian Company, Lebanon. Copyright 1982 by

ووقف إلى جانب أخيه يستنجد به
للمدة بالمناداة .

كان فتحي يبجل أن تظهر عليه
سمات الفقر والخنوع التي تسلب
صاحبها ، ولهذا كان لا يريد أن يصبح
في وسط قسوة كبيرة كقسوة الخضرة
ويدعو الناس ليشترى منه الخيار ..

أما أخوه ، فكان على عكس تماما ،
لذلك اندفع يصبح بصوته الصفسي
المستطيل ، وكان صوته في ياديه
الامر راجعا مخوفا ، ثم ما لبث أن
ارتفع قويا عندما ارتفعت من حولهما
أصوات زملائه البائسين : يا الله يا
خيار .. قلموني يا خيار .. وإذا
ياخي فتحي يصبح : قلموني يا
خيار .. قلموني يا خيار .! وكان
ينظر إلى أخيه ضاحكا فلا يزيد هذا
على ابتسامة متجعبة شاحبة تلتمع
على فمه الصغير ..

جاء زبون تسدل ملامحه على
أناه من الهمال وقال : بك كم الكيلو ؟
- برع ليرة ..
- هات كيلوين

واسرع نادر ، أخو فتحي ، يدق
كفة الميزان على أخو فتحي كأنه ينسجه
الزبون إلى انهما لا يفشان ، ثم مسلا
الكفة ووضع في الكفة الأخرى وزنتين
كل واحدة كيلو ، وقد رجحت الكفة
التي تحتوي الخيار قليلا ، ومع ذلك
فقد تفاضيا عن الفرق القليل ، ودفع
لهما الرجل نصف ليرة ثم سافر فودعهما
بجملة : أهلا وسهلا ..

ومرت امرأة ، فارتفع صوت نادر
يدعوا ، فنظرت إليه بلباحة لسم
سارت إلى الجهة الجنوبية ، وجلس
بعد ذلك ثلاثة من البدو اشتروا خمسة
كيلويات ، ثم مر خال فتحي ، وكان
يجمع من البائسين شربة الأرضية ،
وما أن حاذى الصبيين حتى سار دون
أن يطلب منهما الشربة ، ولا يعرف
فتحي لماذا تذكر كلمات الأستاذ الذي
قال لهم في أحد دروس المعلومات
الوطنية : أن الجاني الذي يقصر في
وظيفته ، كالخائن الذي يفر من
ساحة القتال ..

وجلت (أم ايونا) .. وأم ايونا
هذه هي والدة القسيس الذي كان
مدير المدرسة التي يدرس فيها
البائسان الصغران ، وما أن لمحتهما
حتى اقتربت منهما غير مصدقة :
شو ؟ صابرين ببيعون خيار ؟ ..

- بعديس الكيلو ؟
- برع ليرة !

- لا .. كثير !
ورد نادر : والله ما يوفي أم ايونا
وباعها ثلاثة كيلويات ، ولكن فتحي
غش لها (الضامه) إذ خلط بينها
بعض الخيارات الصفر التي توضع
عادة لتبايع في النهاية بسعر أرخص ،
وقد شعر نادر بحيلة أخيه فنظر إليه
مستغريا ، ولكن فتحي أشار إليه
بعينيه إشارة خاصة فسكت . كان
كل هم فتحي أن ينتقم من (أم ايونا) ،
لأنها كانت تمنع عن إعطائه بعض الملاء
ليشرب ، عندما كان يتفاد الماء في
المدرسة .

ازداد عدد القطع الفضية في جيب
ينظرون فتحي القصر وارتفعت
ندامات أخيه أكثر بعد أن أصبح لديه
منهما واسمال طيب : خيار ..
قلموني يا خيار .. بلا يا خيار ..
جون أبو سامح .. اصابع الخيار يا
خيار .. خيار .. عني في صعين
العشيم

وبقاة .. تسمرت عينا فتحي
على النقد الفروي لسوق الخضرة إذ
رأى (أبو ليلى) واقفا هناك بوجهه
الاجم ، وانفذه الكبر ، ولها بالانفحة ،
ونظارتها الخضرة - أعصاه المتوسمة
اللاعبة .. لا وكنت فتنه ليلى تسلي

مع ،
تمنى فتحي في تلك اللحظة أن
تنشق الأرض فتبتلع له لئلا تراه ليلى
وهو في هذه الحالة يقف إلى جانب
كومة من الخيار يبيعها للناس .. لقد
كان يحبها حبا طغلا بريئا متخورا
بالاحلام الساذجة ، وكانت هي فسي
الصف الثالث ، طفلة ، جميلة ،
كاحدي الدمى التي تعرضها واجهات
المحلات والمخازن الزجاجية ، وبدأ
يدعو الله في سره ليهم والدهما
بالرجوع إلى البيت دون أن يدخل
إلى ساحة السوق . ولكن (أبو ليلى)
سرعا ما تحرك متجها إلى الساحة
وخلفه ليلى التي كانت تراقبه لتختار
لها ما تريد من الفواكه ، وما ليلى أن
اقتريا من حيث يقف فتحي وأخوه .

اراد فتحي أن يهرب ، ولكنهما
كانا قد وصلا ، فاستدار إلى جهة
أخرى يحدق في صخب التسوق
بتصنع الذي يحاول أخفاء بهما
الجريمة على وجهه .

والتفتض فيهما على هوى ليلته ..

تعول والودها : تعال يا بابا نستري
من عند نادر .. فطلب أبوها من نادر
أن يزن ثلاثة كيلويات ، وظل فتحي
في وقفته لا يلتفت إليهم ، ولكن
استدار مرغما عندما ما إليه أخوه
يده بالدهم التي قبضها من والده
ليلى وهو يقول : خود ..

وكانت لحظة قاسية ثلاث عينا
بعني ليلى ، فلامت على شفتيها
ابتسامة الطقولة البرئة ، لم ركفت
تلحق بوالدها .

وعند الظهيرة كان الصبيان قد
فرغا من بيع كيس الخيار فجلسا
بعدا (الفلة) فوجين ، ثم أرجعا
اليزان إلى صاحبه بعد أن دفعا له
الاجرة ، وحملوا الكيسين الفارغين
وبقية قليلة من الخيار ، وسارا إلى
البيت فاستقبلتهما والدتهما فرحة ،
ولطعت على وجنة كل منهما قليلة ،
ثم طلبت منهما الفلة ، وجاء أبوهما
فحسب سعر الخيار ودفعه لجارهم
فرج ، وإذا الربع ليرتان وللثلاثة
دركتان .

للاعبة ابتسامة عريضة على
وجه الوالد فرقي لكل من الصغرين
بثلاثة فركتات ، أما والدتهما فحسب
أخرجت لهما قليلا من مربي الكوز
الذي يشتل له ما اختار . ولم تكن
تقدم لهم منه إلا في المناسبات .

وفي اليوم الثاني امادا نفس الرواية
ولكن ربيعها كان ليرة وسبعين قرشا
نقط . وجاء خالهما إبراهيم في المساء
واقنع والدتهما ليشرك معهما ابنه
فؤاد في العمل . وقد رحبا بذلك
بعد أن خدما بالكيس الفارغ الذي
يحمله بدوره ، فطلب من اللال أن
يشترى له كيسين بسيلا من كيس
واحد ، وانتهى النهار ، فإذا هم
يخسرون من رأس المال أكثر من ليرة
سودية ، وكان ذلك اليوم آخر عهدهم
بسوق الخضرة وبيع الخيار .

بقي أن أقول أن فتحي ونادروا
كانوا قد سرقوا من (الفلة) ليرة
وخمسين قرشا ، لكل منهم نصف
ليرة ، واشتروا فيما بعد مع صبية
حي باب السلام ، فاشترى كسرة
قدم كانوا يبيعون فيها . طيلة العطلة
الصيفية - في الساحة القريبة من
الكنيسة الممكوبة ..

رجان السكيتان

دمشق

من اوراني



ذرات الافئدة بأحلام يتيقظ فيها جنون الشباب •

ماتت أيامنا الحلوة التي حسبناها لن تموت ،
وانحدرت عليها الليالي والايام فلم يبق منها غير الذكرى
الصامتة ، تتوكل على الزمن ، عبر الايام والليالي •

من يوصلني اليها •• الى حيث لامعت النشوة ،
فأتمسح على بابها ، وأتخرج الى هيكل الماضي الوريث ••

يا ما أحلى تلك الايام

ويا لحلاوة هذه الذكريات

والنجوم ، نجوم ليلنا السائلة ، ههنا أصغيت
لظلاله حديثها ، أكم ساهرت المنجيرة أضواءها المتألقة ،
ولكن لم يبق لي من تلك الليالي الصبايا ، وجيب القلوب •
وعسى الحنين ، ولكم تطاولت اليها الاعناق ، لتتمسح
بأضواؤها في منوال الليل البهيم •••

ليلنا في الجبل ، فرحة ومسرة ، انشراح وغبطة ،
انطلاق وصفاء •

عندنا في الاعراس أباريق معتقة ، يعربد في كيانها
سرب من أكواب الدم الاحمر •• الناس يلتمسون نشوة
العمر ، في جبات العنب ، التي يملأ دمها هذه الاباريق ،
من شفاء كأسٍ معربد •

ههنا رضعت من دم العنب الصافي ، وههنا سمعت
أحاديث الحلوة ، فيما عربد في كيان الاباريق ، كما كان
يعربد في كيان امه العنقود ، ويا ما رقص في أيسام
الاعراس ، على أنغام المنجيرة ، وشدو الحداة ، وزغاريد
العذارى •

أديب الحر

النטיפية - لبنان

الدالية الشقراء



داليتنا الشقراء ، في الكرم ، قرب العزال ، ترضع
قطرات الندى مصة ، مصة •••
زارها الربيع مع الفجر ، فلفها بردائه ، وأعطى
للطبيعة أزده ، ثم سقاها من ذوب دمه

مرت الشمس على بيتها ، شمس الربيع ، فدلت
على صدرها ذورق النور ، ولقتها بذراعيها ، فأطبقت
فمها على نداء الحياة •

عصرت داليتنا الثور في فمها ، وأطبقت شفثيها
على الارض ، لترضع من نهدها أكسير البقاء •

وعندما ودعها الربيع ، ترك على صدرها سلال
عناقيد ، فيها من لحمه ودمه أباريق معتقة ، فحسب في
شفاها نشوة بنت الكرم •

منجيرة الراعي



الراعي عندنا في الجبيل ، أحاديث وسمر ،
للمنجيرة ولأنغامها رقصات وإهازيج ، ولصاحبها في
أيام الاعراس منزلة ما بعدها من منزلة •

كنت لا أزال طفلا ، وكان لا يزال عندنا للاعراس
فرحة ومسرة ، تتوسد القلوب ، داخل القلوب ، بنشوة
جنونية عارمة ، وتتمسك بأصابع الضوء لتقبل الفجر
بأنغام المنجيرة ، وشدو الحداة ، وزغاريد العذارى •

كانت المنجيرة تسهر مع القرية ، وتؤدي صلاتها
المؤمنة بقدسية الاعراس ، فتتأرد سكون الليل بالحن
جذلي ، تملج في كل مكان ، وتغوص في الدم ، لتحرك

على المطار

سأل أكبرهما البالغ من العمر سبع سنوات : أمه وهو يرتجف والطائرة على أمية
الانلاع : وانتما الا تلعبان معنا الى لبنان يا ملما ؟ واذا بالأسفر وقد سحب وجهه ينظر
الى أمه نظرة غريق يمتصم يزورق النجاة ، واذا بصراخه يرتفع داخل الطائرة ...



أنا من حثل الرياح فؤاده
أنا من كحل الساء بحلم
رحمت كالفضاء ترتج غيظا
فكان السباع في اليد هبت
واستشاطت قدس في الريح
من رأي اعلت الطرف بالسحب ، رأى السكون شاخصا للعبادة



ذل عطر الضياء في مقلتي الولي وأضت يد النوى انشاده
غيقت دمه الريح بكاسي فاذا الوجد لقمي والوساده
واذا الحجر موعده مكهر رحلت عنه زققات السعاده
فالعشايا تزه في البيت والتنديل يذوي معانا انسداده
وبقايا الضياح والهزج لحن يجرح الليل ، يستفز اسوداده



لتمته المنتهى سلي الخلد عني
أنا لو لم تنش دينا اله
لتنشمت في وليدي عبيرا
أنا من رد بابنه ميلاده
مله حسني تشنه فيه اعتقاده
بث في مسيح الضيا العاده



يا مملأ (١) على بلاد وأهل
موطن والمظالم البيض بذل
موطني الايك واحنني لأيك
موطني ما اتزاره الشمس لما
هاك لحن مضي يغني بلاد
وأب مد للعلی اولاده
دك الهجر والنوى أعواده
قال هيا ، مللما أكباده

١ : أمي به الطائرة

ادمون الفلطي

كران بسام - السنغال

مكتبة الاديب



تأريخ الفكر الاندلسي

لأنخل جنثال بالنبشيا - ترجمة الدكتور حسين مؤنس - ٧٢٠ صفحة
حجم كبير - مطبعة النهضة المصرية سنة ١٩٥٥

لكتاتي السابعة وأثنا عشر كتاب « تاريخ الفكر الاندلسي » استمع الي الدكتور حسين مؤنس (١) الذي قام بنقل هذا السفر النفيس الى لغة العرب ، وقد وضعه بالاسبانية مؤلفه الاستاذ «لأنخل جنثال بالنبشيا» سنة ١٩٢٨ .

« وان الذي يهجم على هذا الكتاب بنظره وسعده « وهياج خاطره » بعد نفسه في عالم زاخر بالالف والفكر واليات والفكر العربي الذي القسه في الاندلس الجذور الفاتورة ، وحاولا به مشاطل الحضرة الى القرب . لم اكن اقرا في هذا الكتاب مؤلفه العظيم فصب « الذي جعله وسيلة فنيه كرسى الاستاذة في جامعة مدريد ، واثنا قرأت مدينتي « مؤنسا » قراءة جديدة وهو في لوب اندلسي يجول فيه خلال المسام الزائلة التي بقيت منها اثر في جامع قرطبة ورايع قرطبة وضريح الصراة وغضاف وادي ياله والوادي الكبير . وان مؤنسا اشيلية اليرمة « التي يطوها اليوم نضال (الجيرالدا) ليدور مع التاريخ « كيد لآن مؤنسا - على رليف التوم الذي يهيمه هذا الكتاب - احتفال الملك اكبر اكبر من الزمن الفاني المشرق .

ان نشر الدكتور مؤنس لهذا الكتاب حدث خطير في تاريخ الحضارة العربية الماصرة (٢) لانه يظننا على صور لا نهبنا بهذا التوسيع ، من تراثنا الفكري والادبي ، الذي عاش املانه في الاندلس وهو مثير حاشد تجد في استهلالته مشاهد تاريخية لسياسة العرب في تلك البلاد مشد دخلها عبد الرحمن بن معاوية حتى اواخر عهد العرب لها . وهو يبين لك كيف عاش الادب والشعر في خلال القرون والامراء يتهمدون قرائعه بالتشجيع والال ، فمارين ان الشعر - كما كان في كل طور من اطوار حياته - سجل الامة العربية في السياسة والادب والفنون .

وقد نتج الكتاب اكثر الحاجة الادبية في الاندلس في عهد الملوك المظالم فملوك الخوفاك حتى اندثار السلطة العربية في الارض الاوربية . وفي كلانه على الشعر اربان الفضائل التي امتاز بها الشعب الاندلسي بعد ان مر في روح شعر عربي واثم في الفخر . يقول « فرسيه غوميس » وهو أحد من انتهى اليهم الاستعراق الفاعر في اسبانيا : (ان الشعر الاندلسي قد تبع من يحر الشعر الشرقي) .

ولعله أراد بقوله هذه ان يسكب في صبر جديد ما قاله الفكريون المياسيون حين قرؤوا شعر ابن زيدون وعرفوا رسائل ابن شهيد : « ذلك يهضمتا ودت الينا » .

وان هذا الكتاب يوضح العوامل التي من اجلها جنم الادب الاندلسي

(١) الدكتور حسين مؤنس « ادب من الفصول » من اسكندرية كلية الاداب بجامعة القاهرة ، ثم المدير العام لادارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم بمصر « وكان منذ سنتين مديرا للمعهد المصري القومي بمدريد ،

في مراكش ميسية عند بغداد « فقد رآه مكيلا باقتباسة والقرواء الشكيلة الجامعة ، ثم جعل يطحن من الادب الاندلسي السلك السلسر ليعطيه روح الفن الذي فسي الاندلس « وهو في الزخرفة وتزيين الجدران لجميل الصلةوضوحية هذا الفن والشعروالنثر في زخارفها الثقيلة والمنوية وهو في هذا صاحب غلو « فان ايا تمام الذي اساع في الشعر الصناعة وأمدى الشعر العربي بها « لم تكن زخارف البناء فسي الصلابة الجيدة في التي منه الى الجناس والطباق والمقابلة « على اتي لآثر ان انظر الى قصيدة ابن زيدون « التي وصف فيها شوله الحبيب وشقائه في الحب « كأنها حاد من قصر العمراء يوسف زخارفه طابع الاندلسي الفالب : (ولا غالب الا الله) « يهضمت الملقب «

ويرى الكتاب ان موضوعات الشعر الاندلسي ، وان لك شرقية المياس « لكنها تنوعت بآراء الحياة الاسلامية الجسدية على الارض الاوربية . وكانت مغارف الحضرة تبع في تلك الصور المتكاملة فسي الشعر العربي الاندلسي .

وفي مقال التعديت من شعراء القرون الذين يسميهم الكتاب شعراء البلاط صارد لقيم فنية يعطها التمدد ولوموزما القابلة بشعر المشقولة « وعند كلامه على ابن قزمان والفوشحات مر بايضاح الصلات بين شعر الوضعات والشعر الاندلسي الشعبي « وكان « ابن سناء الملك » يسي آيا من امانيه الجبال والسكفري « وان السوان كن يردلها في القناد لشوكتها « وينساق المؤلف بعد الوضعات الى ايراد التافيد شبيبة كانت تدور على السنة العرب في الاندلس متنزعة في كثير من صبرها من الكلام الاسباني ولنة المامة .

لم يهجمي الدكتور مؤنس على الادب الاندلسي « واخير ذوي النثر والسبيل وأمل النبا « ثم المؤلفين الاخباريين والمؤرخين « واصحاب كتب الطبقات « وحيي يفتت في الكتاب كلام على « الفتح في غلات الفاني » « وكان الشيخ نافدا ساجيا « يحول جمال سمحه بين الفقه والمفسرة المنامية « يردو قلائد كمثود حسان اندلسيات على اشواق يضة لا فاني ، رابت المؤلف لا يشعق عليه فيظهروه في حالة الحققة « للقد كان مسبلي القوام مشغورا « لم يكن له نصيب بان تدوم له ولاية في شؤون الدولة « فارد القاضي « عباس بن موسى « ان يرجه يوما « زجر الطيف ليتم عليه يندتار ومعا صفة « لكن الاديب ابن خالان « وقد احس خوخ فيه هذه الهمية اراد ان يسطق من قلائد ترجمه القاضي مياش فلم يعاوم انتقامه « وادرك انه ان قل اسماء الى توليفه الادبي بحرمانه من ذكره .

اما كلام الكتاب على « لسان الدين بن الخطيب » فقد عرفه في شخص عظيم « وذلك من حقه « فلقد كتب التاريخ والادب بلغة سيده للنثر « ساذكره وهو في صبرية نعمته عند ابي الحاج يوسف الذي اطلق يده في الدولة حتى لفاد « لكن سمده اخذ في الخيب بعد الحاج برامطع عليه اصحاب الساسيات « وخانه بعض من اصدقائه ويضع في تولايدته . لقد كان هذا الكتاب بلرا بلسان الدين وحيما فآيزره في ادوع صورة التي تطرد ذكره « وكشف من سر الخيالة التي حاكها له منالوه . لم أعذ الكتاب في الكلام على لالاسة الاندلس وعلماء الاندلس والنثبات والطبيعة فيها « فاعلم اولئك الفانبرين من رعايم احياه في سجل واحد مغلما للسيرورة في تلك الرووع .

وهو نزاع الى الطرافة في الادب « ويسم في كتابة القالات الوصفية والتطبيقية للعواد والانشاس .
(٢) اختصار الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية هذا الكتاب للنشر .

بعدم نكتات .

فني غني : لو ان القصة انتهت بصياح شمان :

.. « أيه القرف ده ؟ » ولا تهرب على الصالح الملقح الأخير ، مسن دور تدخل إله في الحوار ثانية . تصفك من اوراق القصد .

ولسا نبحث هنا عن مدلول القصة . فلأ امتراض لى ما همداء .
فانتخاصى مسد الخرى يا جدمعان .. القصة .. ألوستغنية أكثر منها
اناس من لحم ودم وقلوب جزرة ...

٢ - واحيد منه :

تحاول ان تبرز مشكلة . فالأين فحبة . تصارع في داخله
نيرات . فهو موزع الشخصية والجهود ، ما بين الفعل في المكتب ، وبين
محلي ام خري ...

وام خري هنا ، المرأة في الاخلاق ، التي يتلف « سي احمد »
لاستشعر بوحدة من جنسا .

« ما هي دي مش عيشة ... أبقي في اول الشهر ولسه قابض
وما يعطش مايا ولا عليم .. انا ماير اعيش انا كمان وأصرف زي مسأ
تصرف لاصحابي ... دا محمد ابوري زيلي في المكتب التي يباخذ ماغيه
زي معوض وحيثقول الشهر الجاي ... وطول ما انتم ورايا الواحد مش
خبرف يعيش ولا يحوش ولا يتعب . »

وسط هذا الصراع التسلتي المذهب ، بين رغبة احمد في امتلاك
لمراة وبين « واهي » نحو والديه واهته فصيح ارادته ، فهو متحول
الارادة ما دام يخافهم بقوله : « طول ما انتم ورايا ... »

إنا كيفية دمه لتجنيبه التماس لوفقة . إذ ان مظهر سافي ام خري
الستديريين ، لم يزل متشلا امام حبيبه . فقد « طلع بقة السلام وهو
حاسي برمجة شديدة في رؤيته هذا النظر مرة ثانية ولكنه ... فمجرد
ذكر اسمها التمشاع من اذنيه كقول بان يسلمه يده بالانزلاق السي
حبه ... »

ولا يتجلى معنى جمل هذه القصة من دكالة في الربط : « يسرا ...
أي أبي الخيال » فريدان جرائد الاس التي لم يعد يحتاجها الاوسطى
فتمشي صاحبها سالون الخاتمة للعلاقة ومديته . « فهذا « ومديته »
ركبة هكذا . فلو تلت نحتاجها مبادرة لاستقلت .

تحاول ان تبرز مشكلة : فهذا المذهب الذي لا يحصل في آخر
الشهر من معاشه البالغ سبعة جنيهات الا على « ضربة لكه » هو ببيعة
عش من البقال ، وحيد من والديه . او لا يستحق أن يعيش كما يريد أن
يعيش « أبو ربه » ؟

٣ - ميد الوجود

لا ترى الفصل من ان احمر يعنى اهتمامي في العنوان ، فهي لغة
تريد ان تبين .. او هكذا فهمت منها .. حالة الاستسلام لدى ميسد
(الانسان) الموجود (الله) . فالتساها امتداد ان يقول « كلما اشتدت عليه
ازمة البطالة » :

« برزق ... وينا موجود ... مصيره يفرجها . » ولا يفرجها ،
على ما يبدو . ذلك الوجود القالب ... يتفزع ميد الوجود : بعد ان لكونه
ام الصيال الازمة : « يبحث من عمل ... أي عمل ... ومن الرزق والرزج
ويعد لها ينكس . »

لا يؤمن المؤلف بان تغير الانزعاج يمكن ان يتم من فوق ، بل خري
حرمي العمل ، فاسانه الواسع من تحت .

٤ - ويعطين يا سديده :

في هذه القصة محاولة للتوفيق بين زوجين مختلفي الرغبات ، كما
فيها محاولة للتوفيق بين الازدواجية في اللغة .
وتقوم هذه التهمة على التذمعي . فليما ميد للتصود يتخيل مسا

وقبل الحام نكلم الكتاب على أدب الاسيار الذين اثرت فيهم
العبرية العربية فالتفتهم بشفرهم ودعمنهم الى كتابة القصة : فلما أدب
جديد ، هو يعنى مولود أندلسي طريف ، يأخذ من العبرية روح معيبتها .
كتبه اصحابه بلشهم . لقد تأثروا بالثن العربي منذ نزل العرب فيارضهم
ولطت هذه البواصت مقبحة بعد زوال العرب ، وهي ما تزال الى اليوم .
الى اسمها في القصة الاسياني الذي يشبه « الفولاية » وأكاد استشف
الاعتام العربية الخافية خلال العارف الاسيانية .

وكنت الخافية جوارا في الحركات الأدبية والفنية التي تجمت عن
العرب في الاندلس ، وأعلنت طريقها الى اوروبا ، وخاصة قصص الفروسيات
وأكار الخيال العربي الذي ابتكر فنونا من القصص في « كيلة ودمنة
وحي بن يفتان » فولد في الخيال القربي روايت معالجة في الشعر الاندلسي
والاسياني . ومن هنا تلوح لي الفكرة القابلة التي تجعل للشعراء الجوالين
من « التروبادور » تأثيرا في الشعر الاندلسي السهل الذي منه الأرجال
وبعض الموشحات ، والتي لا تجد ان هذه الالاسات لم تتجلى بعد في تليفين
الأدبي وان كان الكتاب قد جلا ما يتأثر العرب في الفريين كذلك خرجت
من كتاب (تاريخ الفكر الاندلسي) وكان اموذ من رحلة متممة للعسل
والنفس ، ولئن سمي المؤلف كتابه (تاريخ الأدب العربي الاسياني) ، فقد
رد الترمج الاسم الى حقه العالي ، فأحسن للفكر على حساب الادب .

زكي المحاسني

دمشق

مسد الخري يا جدمعان ! ..

ليدر نشاطب محبوبه قصي : ١ صفحة منشورات دار الفكر بالقاهرة

١ - مسد الخري يا جدمعان

« مسد الخري يا جدمعان (١) قصة ريبورتاجية الاسلوب ، فائدة
للحرارة تعتمد المفاجأة في الانعاج .

فألية التركيب والاداء ، لافئته . لكاتبا وضمت - وهي كذلك -
لتنبح أناسا يروجوا الافلاخ عن « قرب الحشيش » . فاشخاصا لسفن
يتكلم لتسفي جهول الملاح « مشكوك بوجوده . فليها لمرأة الشاربين
في « فردقة » يتلفت من بينهم شخص اسمه عبد الفتاح ، بلا تمييز ،
وقد تحول من مدمن « الى مقاطع حزم الازادة .

والفتن ميد الصمد ناخبة ميد الفتال وقال باهتمام وكأنه اكتشف
ابرا خيرا :

« الله . انت ما بتشربش ليه يا أبو ميد ؟ »

واتنفس ميد الفتال من وجوه وقال بصوت غشش :

« ما ليش مزاج . »

في هذا الحوار القصير يمكن ان نخصر القصة . فهي « كما ترى »
تتمثل اشخاصا وضموأ ففابة قصدها الكتاب : فمخالفة ميد التصلال
« لأخذ النفس من الجوزة » انما خارجة الفرض ، وليست داخلية
التوجيه : ليست من ذاته هو . وان كان « انتفاش ميد الفتال مسن
وجوه » يدل على الصراع بين الحالة التي كان مترويا بها سابقا ، وبين
الحالة التي يريد ان يستنمها .

ثم هذا التدخل . فالكاتب لا يراي ذاته في شخصيه . اما يتفر
من بينهم يتكلم بلسانه هو .

والانتقال الطاهر في انهاء القصة ؟ هو بعض حيب القصة منسد

(١) يستحسن قراءة الكتاب : أولا .

قد نعلمه لوجه وأولاده بالعبقة التي استراها بخمسة عشر قرشاً
وسمعي بالله دفع ثمنها ثمانية ... يتقر السرد بـ برشاقة من طسوير
التغلب إلى السبب الواقع من دون أن يتربل السباق أو يتقل من
لم يبر غالب أحد الطرفين وبين كلام الناس الذي يكفر حتى المؤمنين ...
يفتر عبه المتصور طلاق زوجته . لكن تذكره ألفة ذكته إلى تاجيل
الابتعاد من ذلك ...

٦ - اللجنة التأسيسية :

۷۔ اشوافیگو بیکرو :

١ - صرف ان سيد الحلال شافنا واحدا داخل الحارة .
 قفلت في خوف : لا - يا شيخ .
 ولا ادري ان اولئك مني بالمرء في هذا القطع :
 « واقرتنا من الدور الثالث » كان في الامر جزء ربع من الظلام
 لم يلحس النور والراح سمود بصانته زوجته وقد اولوا ظفيرة
 ان هذا الجزء من الظلام ، وهو موجود في كل مجتمع - يتكاسر
 ويتصلح - مما يسهل الناس على النور خلسة الى اهداف حقيرة ،
 متعذرا بدير التفسير ظفيرة ، مشلول .
 وكما يقال الناس شماعة فيختلسون ذقات ، او سبات ، او اصابع
 من الهم والعارفة .

٩ - بيجمارة شمكسي

الناهل الذي ينتظر . ويغترب منه ؟ كلما حطت الساعة الى الثانية مودع الامتراف من الصلصة . »

هذه النهاية الرافضة كثرت اليانها ، كاملة ؟ لانها تتطوي على دالات . وان فيها يكن زخم السرد ؟ وفكرة الكلب على الرمز ؟ وعلى طرانة الانهال .

١ - الجيفار :

ما زلت عند وائي (٢) بان القصة مترهلة الاداء في بعض اجزائها . لما قيمة هذه السطور الثلاثة والمشرون التي تسبق الدفول في الموضوع اهي مقدمة ؟ ام يبروز رواج محلي يصف لنا بعض الاحياء عندما نصل حارة عثمان ؟ وان كنت ارى انها تبرز مشكلة لا شك انها موجودة ، وبالتالي ليست شاملة الموضوع .

للكلب ، أي كلب ، ان يضمن قصته ؟ احيانا ؟ آراء خاصة فسي مسائل معينة ، ويصلها ما يريد ان يعمل من دالات . على ان يحصل الاختلاف التام ، أو الدوران في شخصيات عمله الفني .

والقصة ؟ عند بدر نشأت ؟ فالتية الانبياء ؟ ولبيت فنية الاداءالما . لتتراجح قولها واصالتها فيما للموضوع ، وبما للعناية التي عاشها الكاتب . فهي حينما تضح بالحياة (٣) ؟ واخر فكرة ؟ مترهلة ؟ كمجوز تبرز نظام وجهه وقد فقد جسده حدير المروق (٤) (الآن مدمن للمخدرات ؟) فهو متشكك ، ملته التجربة ان يضع على عينيه « موتوكلي » الفخراء ؟ وعلى لسانه حكمة الحكماء .

والجيفار ؟ أبرز ما في المجموعة من قصص . فيصبح ان يكون الكلام حولها ، كلاما عاما من المجموعة .

فهي تحاول ان تتنح بغالبية وغرورة الاتحاد . وتنتج في ذلك من دون لجهو الى طريقة مجوعة ؟ وهي فريضة الانحاز . بل يمس التاريه بالانحياز يتغلغل في دماغه ، على دلمات ؟ كتملح الدفول المدفوع من القلب . وتقدم لمناج من الناس حية ، صادقة الراي - فهذا كالمزج من حطلة او صوابيته - لا يتقصها ما للمناج من وجوب .

قصة هي يكلمه هي - ماسة فاس - تبرز من خلال ماسة شخص حينه الكروان .

للملحات الشخصية يرتبط ، هنا ، بالحدث العام . مما يعطي للموضوع اصالة وصدق ، ولعل هذه النقطة شاملة في اكثر قصص نشأت ؟ فتعطيها - وفي اقليميتها الضيقة - دفلة الى خارج ، الى لسة مشكلة الانسان اين كان .

ويصح ان يشتل الصراع المتضارب فيها في الجماعين (٥) متناقضين ؟ او شخصين هما : ألم شكله ؟ (ومع سنه الرقاسة وحسن الدباغ . . .) والشخص شلبي ؟ (ومع علي التميمي وخليل سيغمم وموضي ابراهيمس . .) والشخص متذبذب بين الجماعين . فليما الاول متدافع الصلابة ، جريش الارادة ؟ ترى الثاني - مع ميله للانجاء السليبي - متردد ؟ حائر ؟ فبعد ان يؤمن الشخص شلبي على كلام المم شكله بقوله :

« يا ايوه - كله من الجدار اللون ده - ايه وايمك يا جدمان لو كنا نهدد ؟ »

يود ، آراء الامترافات ؟ فيتقسط على نفسه ؟ ويرى في الموضوع وائس اخر .

لكن هذا التردد لم يجل - لفرمان ما - خرج جميع السكان الى

(٢) واضح ؟ الاويب ؟ عدد مارس - ٩٠ (٣) سيجارة شلبي ، والمصل ، (٤) مسد الخبر يا جدمان .

(٥) وهو امر عام في المجموعة . كوسف البروليتاريا الذي منه يستوحى الكاتب .

الحفارة وساد الورج وكثر الكلام وملا الصباح - كانوا مأخوذين بالعبود القوي فحين يحرارة الشمس ، متشبين بالهواء الطلق النعش . . . »

لقد هدم الجدار .

لست ممن يجبرون فرض الإرادة على الايدي . لكني اقول ان الحراق يفر نشأت في اقليمته الضيقة ؟ حتى الاختناق ؟ قد يقلل من قيمة قصته . وان كنت ارى ان الاقليمية الحق - اقليمية الاستيعاب ؟ لا التلق - هي الطريق الى ابدع .

فالكاتب ، على ما يبدو ، يؤمن بقومته المصرية ؟ ويود ان يمر من شمتها . وله الحق في ذلك .

ومحاولة التوفيق بين الرداوية اللغة ؟ في قصته ؟ فلم تزل تافرة ؟ يا بانها السجاح ؟ الا في مواضع قليلة .

اما نهاية القصة ؟ عنده ؟ فتصل الى السليبية ؟ فهي من وائي صاحب « فاجعة حب » - مع اختلاف في التطبيق - الذي يقول بان المدعوة الى الفضيلة في العمل الايدي ؟ قد تقلل من قيمتها اجتماعيا - محلي - نفيس ما يرى كشكسبير من ان كل عمل ابد يجب ان يقدم للفضيلة .

ولمة ناحية ؟ وهي مقدرة الكاتب على الالتفات ؟ ومن ثم محلي التصوير الوقل حتى « الفوتوغرافية » ؟ مما يقلل من وقع القصة ؟ ومن اصلها الفنية .

اما ان بدر نشأت قصاص ، يستحق التسمية ؟ لصحيح . لا تتقصه اللقطة الانشائية العبارة ؟ انما توزع ؟ احيانا ؟ فنية السبك والاداء .

عائل الاعور

الريحانيات

لازم الريحاني - طبعة جديدة متلعة - الجزء الاول : ٨٠ صفحة - الجزء الثاني : ٢٢٢ صفحة - منشورات دار ريعاني بيروت

الريحانيات : « ولقد اخرجت اخرا في طبعة جديدة ؟ فرسة للحدث من الكاتب المبكر الفالده امين الريحاني .

لقد اودع الكاتب « الريحانيات » أقرب مقالاته الى نفسه - فليد كانت « الريحانيات » ؟ وقد اصطلحا اسمه ؟ وقيمة عمره - صفا لها وانفس اليها يسره ويشا حسنه وتلق بها تفادله .

لقد خدمت هذه المجموعة فكلين عرف ليعما الريحاني نفسه ولخص مبادئه عما « الريحانيات » ؟ ومن انا ؟ »

ولمة لصول اخر تجلت فيها صورية الريحاني ؟ صورية متشكك عظيم الروح كبير العقل من ابناء القرن العشرين .

وفي مقالات كثيرة يراجه القاري ، حكمة الريحاني مرعا فخصبا يقوم على عمد ثلاثة : الروح والمقل والجسد .

وفي مقالات اخرى تجد الريحاني يؤكد الصورة التي يريدعها لتروق الفد .

لقد دعا امين وكتب في وقت كان فيه الشرق يتامل من غسوة الاجيال وكانت المحفارة الغربية للاس الشرق من جانب غلبة قريبة دون ان يبعو من استغناء المادية ولاصانه من جانب اخر كالفرة ملزمة دون ان يبدو متعمرها الاجيائية .

فتصق الريحاني كثيرا وحلق غالبا لم دعا الى لهضة تنال فيها روحانية الشرق ومغاية الغرب . لقد دعا الى مادية غير ملظفة وروحانية غير جوفاء .

وفي هذه الطبيعة من الرعبانيات مقالات جديدة لم تظهر في الطبعات السابقة فيها منها فصل فريد « رسالة الشيطان » وقد انطوى هذا الفصل على كل جديد من صور الطغاب النفسي والمثالي وعلى بقدر وجودية وعلى اراد جريئة في فكرة الشيطان مع نهائية طريقة في معالجة الشيطان له .

لقد عرفنا الرعباني في حياته كاتبا مشرقا متفكرا مع تصقم - لكنا هنا نجد حكيما دون أن يفقد شيئا من اشراقه وأينسنته .

لقد كان وصي الرعباني في « الرعبانيات » وفي كل ما عمل أو كتب - كئلا - ففي سخطه كان يحمل أملا وفي إبتسامة كان يغطي جيدا - وكان شموه الانساني وشموه القومي متلازمين متداخلين .

اما أسلوب الرعباني كما بدأ في « الرعبانيات » فمزيج لطيف من كلاسيكية ناعمة ورومانتيكية ساحرة ولكنك - على كل حال - تشعر بنفس الرعباني نابضا في كل متع .

اما لغة الرعباني - فزعم أجادته للاكاديمية ولعلت أخرى اجادة تفكير واستعمال - فقد كانت لغة مطواعة بسيطة قوية مما تجعل السار لفرادت كثيرة في الادب العربي القديم .

وقد أصدرت دار الرعباني الكتب في جزئين في طبعة انيقة متقنة ومزينة بالصور .

ن.ف.هـ

الأسلوب الطريـف اللطيف - قد ألب فوائده وسلامة عوايقه - واطهر ان العالج والشفا - يتمان في احيان كثيرة - دون ما حاجة الى قطع اوسال وسلك حاد وحطيم مقام - بل ربما بلغ الصلاح غاية الاملاح - وهو يرسل الكلمة الرشقة الانيقة - واضحة ناعمة - تطل في الرزي المرح الداعب الفكاهة - وتطير وراء قوة التعبير ودقة التصوير - حسنة التأثير وقسوة التفرع والتنديد والتذكير ...

فالذين احبوا « المختصر المفيد » وهو فقرات موزعة على مئات الايام في مئات الايام - سيقفون اليوم - في هذا الكتاب - اصفى ما ينظر من تلك الفقرات - جميعها في الله - وللا - طيب مذاقه - سالف شرايبه .

وسيقفون في ليايه - وجه صاحبهم - فلما كلمس الله - عادلها كصفحة اليم - عبقا كلفة الخضم - ومغيا كثرة اليم الخضم ..

نصري المصروف

سيسفودون

لرشاد دارفوت - مسرحية من ٤ فصول - ١٣٤ صفحة - منشورات مؤسسة دارفوت اخوان بيروت - مطبعة دار الكتب ببيروت

قال المؤلف المرحي المعروف الأستاذ فريد مدور في تقديم هيمنة المسرحية :

مزيهه هيهاد : لي اعرض لتسليطك بتقد جا ءا لالتأليف سيوانتقد شه يلقر - وولي يكون المؤلف نادقا و لا الناقد مؤلفا . فلكل ميدانه ومواجهته في الحياة انما يملك التمثيلية او الرواية - في حرفي - جلابيتها بلشاهد او القاريه - وسيطرها عليا حتى فلكه عليه مشافره - فملا يستطرح تركها اذا بدأ بقرادها - الى ان يستوعبها كلها . وهذا مما احببت فيه بجاحا طبيا بيتا في « سيمودون » وقد انزعجتها من صميم حياتنا ومحيطنا - ونشرت بين تضاميلها جبر الحياة .

ولا يغفل يا اخي ان الادب التمثيلي حقوق جدا - وطريق النجاح فيه كثير الصعوبات - فلاجادة في التأليف فيه يجب ان تراكبها الاجادة في الاخراج - وفي التمثيل - وفي المسرح وفي الآلات - وفي جو بين المشاهدين مفرد مشجع - متفاعل مع الفئتين - وكل هذه لا شأن للؤلؤف يهيا - ولا سيطرة له عليها غالبا - فسي - وهذا ما امنتاه لك من كل لثبي - ان يتاح لروايته هذه تضامير العوامل لتتال الفول الذي تستطه - وقد ولبت خطك لها .

اقول هذا - بعد ان قرأته مثنى وثلاث ورباع - فلما بي اجد فيها - في كل مرة - متعة - وفي كل اعادة - فائدة ولذة - فانكرت حق غورها عبر بساطة مظهرها - ونهضت منها معنى السهل الممتنع في الادب التمثيلي - ورايت رائد الفكر - وادعاه وقيل ابدعها - فيجول ويصوم في ميدان الحياة - فيتنظف منها ما غر ميرة - وسما مثالا - وحسن تكتة - لينظم مقدا فريدا جيلا « سيمودون » ا

فلك مني تهنة خالصة - والسلام عليك ممن يمنني لك اطراد الجياع .

فريد مدور

مختصر مفيد

لرشدي مصروف - المجلد الاول - ٢٢٢ صفحة - مطابع الهاد القلبيية لطباعة وانتشر []

الأديب الشاعر الأستاذ رشدي مصروف رئيس تحرير «الجريدة» ببيروت هذا الكتاب القيم وهو مختصرات مما ينشر في «مختصر مفيد» في «جريدة» «الجريدة» «الكلبية» و«مما نشر في «جريدة» «الاحرار» ببيروت - وغير تعريف بهذا الكتاب الكلمة التي قدمه يهيا الى القراء الأستاذ نصري المصروف احد اصحاب «الجريدة» وقد رأينا ان نقلها هنا :

هذا «المختصر المفيد» يبارك مشاهنه من قراء «الجريدة» مع كل مطلع حسن - منذ سنوات ثلاث - فهو غني من التعريف والتقديم - لانه قدم نفسه للناس في قبل المقدمة وقبل الظهور بين دولتي كتاب - فوفرة الصعيبين والمتدجين - قد مهدت سبيله الى التواظر والخواطر - وفقت حقه من التقدير - وبرائتي من تمة «مفاج نفسه» .

وفي عجيب ان يكون لهذه الاسطر القليلة - هذا الامر الجيد - في نفوس الذين يتناولهم بالثقافة والاملايح - وفي نفوس الذين يتناولونها بالظلمة والاربابيح - لها طائا شفت فلة مؤلدة - وباطالا شفت فلة اولئك . وما كان غرضها في كل حال - الا جلاء الحقيقة في اوجز مقال - ووضع الخير في اقرب مثال - ودفع المجتمع في طريق الصواب والكمال .

والذا كان صحيحا ما يقال - من ان هذه السلسلة من الانتاج الفكري البومي - قد نهبت الى مقبرة جديدة في فن التلم الفصل - واضلعت طرازا لمناجبة الشؤون العامة - فان ما هو صحيح ومشجع ايضا - ان هذا



لسان الحيوان وسائر الكائنات - تأليف أديب عيسى - 18٠ صفحة - مطبعة الحسين بعمان الأردن .

● التربية بواسطة الإذاعة : الإذاعة المدرسية - تأليف روجيه كلوس - سلسلة الإبحاث التي نشرتها اليونسكو عن الصحافة والإعلام والإذاعة في العالم الحاضر - ٨٩ صفحة - منشورات منظمة الأمم للتربية والعلم والثقافة بباريس - الطبعة الكاتوليكية ببيروت سنة ١٩٥٥ .

● شرح في الاقتصاد القومي الاجتماعي - ١٦٨ صفحة - مطابع لبنان ببيروت .

● مراحل المسألة الفلسطينية - تأليف سفاة - ٩٧ صفحة - مطبعة الجهاد بيروت .

● مختارات من الأدب البصري الحديث - ليد شاك السياب وزكي محمد الجابر وسعدي يوسف ومصطفى عبد الحميد وعبد الجبار داود البصري وعبد الحسين علي الشهباز ومحمد جواد الواسي - ٧١ صفحة - مطبعة الآداب بالبحر العمالي .

● هي زينة في مذكراتها بأشرف جميل جبر - سلسلة الروايات العالمية الكتاب ٧٥ - منشورات دار الريان للطباعة والنشر [بيروت] .

● الجرشة - قصيدة شعبية منظومة على نسق مجرشة الروم الكرمي - لعبد الأمير النخعي - ٢٦ صفحة - حجم صغير - مطبعة المعارف ببيروت .

● رباعيات - شعر لعبد الرزاق حسين - ٦٨ صفحة - حجم صغير - مطبعة الخبر التجريبية بالبحر العمالي سنة ١٩٥٥ .

● النظم والامر - للمحامي جليل قسطو - ٥٦ صفحة - حجم صغير - الطبعة العربية [ترجع لها في بغداد سنة ١٩٥٥] .

● نظرية عامة في الأعمال الثقافية لجامعة الدول العربية ١٩٤٦ - ١٩٥٦ - منشورات الادارة الثقافية بالجامعة - ٦١ صفحة - دار الهدى للطباعة والنشر [لم يذكر أين ؟]

● مهنا القندو - قصة بيروتية - تأليف فكتور حكيم - ٨٧ صفحة - حجم كبير - مع مقدمة بقلم سعيد عقل - مطابع الملبيا ببيروت سنة ١٩٥٥ .

● بدلا من الطوف الانشراقية والديموقراطية - تأليف انورين بيلان - ترجمة وتقدم كامل زهيري - ٢٢٨ صفحة - منشورات دار التندب - مطبعة الدار المصرية للطباعة والنشر بالقاهرة .

● طيه - شعر - لعبد الرزاق عبد الواحد - ٦١ صفحة - مع مقدمة بقلم عبد الوهاب البياتي - مطبعة الرابطة بغداد .

● موطن الاحلام اسبانيا - تأليف عبد الدين التكريتي - ١٦٠ صفحة - مزين بالصور - مطبعة العلوم والآداب [لم يذكر أين ؟]

● العالم بين دفتي كتاب : دراسات في الفن الفريدة - من كتاب الفريد ستيليرود - ترجمته بتمبرف واصفالت اليه المكتورة سهر القمصاني الاستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة - ٢٢٨ صفحة - نشر بالانتشار مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر - مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة - مطبعة مصر بالقاهرة .

● Vies des Saints musulmans - par Emile Dermenghem - Nouvelle Edition revue et continuée - 425 pages - Collection La Chamelle Publiée sous la Direction de François Bonjean - Editions Baconnier - Alger .

● Méditations Poétiques - Tome II - Egypte, amour, religion, science, arts etc. - Par Félix Léon Laureat de l'Académie Française - 158 pages - Imprimerie La Patrie, Le Caire .

● اللوحة - تأليف غوغول - ترجمها عن الروسية الدكتور بدیع حقي - 1٠4 صفحة - مطابع دار العلم للملايين بيروت .

● حماد الاشواق - شعر - لعبد الحسين المبدالله - ٢١٦ صفحة - منشورات المكتبة المصرية صيدا وبيروت - الطبعة المصرية بصيدا لبنان .

● حكايات ذات مغزى - الجزء الاول - للسيد محمد الباقلي - ٦٤ صفحة - حجم صغير - منشورات دار الحكمة ببيروت [لم يذكر اسم الطبعة] .

● مراجع تراجم الادباء العرب - الجزء الاول - تأليف خلدون الوهابي - ٢٢٢ صفحة - حجم كبير - ساعدت وزارة المعارف العراقية على نشره - الشركة الاسلامية للطباعة والنشر ببغداد .

● ادبنا وادبنا في المهجر الامريكية - معاصرات القلعا جورج صبيح على طلبة قسم الدراسات الادبية واللغوية في معهد الدراسات العربية العالية لجامعة الدول العربية بالقاهرة - ٢٢٢ صفحة - حجم كبير - مطبعة الرسالة بالقاهرة .

● ديوان منصور شامعين الغرب - قوال المتي اللبناني من معلقية الداعور - الطبعة الثالثة - وفيه ترفيع من الزجل اللبناني الحديث بكت وتطوارة . وابساحاته وشعره على . وامثلة من اقوال كبار النوايين . وفي اخره مئات الغزل والتوايد الرجزية التي يلائق بانجام مجبوسية ومربية بقلم ولده - امين الغرب صاحب مجلة الحارس بالبرازيل - ١٦٤ صفحة - حجم كبير - مطبعة سعدي التجارية بسان بولو البرازيل . ويطلب هذا الكتاب ولونه لثلاثة دولارات من : ادارة مجلة الحارس Revista Al Hares - Rua Bom Pastor 1302 (Ipiranga) São Paulo - Brasil .

● دراسات ادبية - بقلم الفليد الدكتور احمد زكي ابو شادي - ٦٢ صفحة - حجم كبير - الحلقة ١٧ من سلسلة « مصر وامريكا » [لم يذكر اسم الطبعة ولا أين صدر] .

● دراسات اسلامية - بقلم الدكتور احمد زكي ابو شادي - ٤٠ صفحة - حجم كبير - الحلقة ١٢٦ من سلسلة « مصر وامريكا » [لم يذكر اسم الطبعة ولا أين صدر] .

● المجيء الى الوجيز وميلت اخرى - تأليف مصمود للاح - ١٤٤ صفحة - مطبعة السجل ببغداد .

● طريق ابي الخصب - شعر - لعبد الجبار داود البصري - ٢٠٦ صفحة - مطبعة الخبر التجارية بالبحر العمالي .

● مات حجر وقصص اخرى - تأليف محمد سعيد معروف - ٢٢ صفحة - منشورات جريدة الصحافة بالخرطوم - مطبعة الصحافة السودانية .

● كنت في مراتي - تأليف ماجد لغما - ١٠٢ صفحة - دار النشر والتوزيع واتحادات بعمان - مطابع شركة الطباعة الحديثة بعمان الاردن .

● عودة لبنان - الجزء الاول - كتاب في حكمة الانسان بلسانه وصلى

جولة الهند في مصر



الاستشراف في الولايات المتحدة ومراكزه الكبرى

يقدم يوسف اسعد دافسر

نظرة عامة

الولايات المتحدة الأميركية هي من هذه الدول العديدة المهد والتنمية . فقد كان اهتمامها بالشرق وحضاراته الفريدة ومنهائيه السعيه وليدا جدا في بداية الامر، ثم اخذ بنمو ويشتد بنمو معلومات تلك الدولة واشتداد ساعدتها ، وفتحتها ، حكومة وشعبا ، على المدى الدولي بما يتفق وومها القومسي للتزايد ، وامتداد مصالحها الحيوية الى هذا النظم من شرق الارض مقلتي فترات الصلالم القديم ، واهراقها فيه اقتصاديا وسياسيا وقلابيا ومسترابجيا .

اول ما اهتم له الاميريكون من شعوب الشرق وتاريخه السحيق ومظاهر معنياهه المتعاقبة ، اهتمام بدروس الكتاب المقدس في دهرهم ، والعناية بعراصة تاريخ ويلمانيته هذه الشعوب والافاطر التي كادت ، من قبل ، مسرحا لحوادث الكتاب المقدس ، في مهديه القديم والجديد .

واهتمام الاميريكون بالشرق يزداد ويتنامى على اثر الاراسيات الدينية والتبشيرية التي اشاعها في دبروع الشرق الانبي ، ابتداء من الثالث الثاني من القرن التاسع عشر ، وبما قلنوا بتناسيه الى جنب هذه الاراسيات ، من كنائس ومعابد ومعاهد ترويه للذكسور والاتان ، بلورت وتجمست في الربع الاخر من القرن التاسع عشر بتناسي الكلية السورية الانجيلية التي اصبحت فيما بعد ما نعرفه اليوم بالجامعة الاميركية في بيروت وفيها من القاعد الجمعية الكبرى ينشئون في مقائل الشرق الكبرى كالاسنة والزي، والبنبا والقاهرة هذا اذا شئنا ان نقتصر من ذكر هذه القاعد على الجمعية منها .

وهذا الاهتمام بتدبه اميركا بالشرق ، بلغ اشده ، في اعقاب الحربين العالميتين الاولى والثانية ، ولا سيما الاخيرة منهما ، بعد ان استت المصالح الاميركية في هذه الربوع ولا سيما مصالحها الاقتصادية والتجارية في

هذه الراسيل الجبارة التي ينشئون باستشراف تروا الشرق الدينية ، من الذهب الاسود المجل بهذا الخزون من مادة البترول الثمينة . وهذا الاهتمام البالغ بتدبه اميركا بالشرقين الانبي والاسوط ، يزداد نشاطا ، بعد ان رأت الاتحاد السوفياتي ينظر اليه ، ويعاود مساه استطلاع لكن صلاته به .

ومعاطفة من الاميريكون على مصالحهم المتعددة القولة في الشرقين الانبي والاسوط ، اخذت دور العلم الجامعية منهم ، حتى عناية عادات ، بتدريس تاريخ البلدان الشرقية في قديمة وحديثة ، واستطلاع ما غلبي وما استمر من اسرار تلك المدنيات والحضارات التنسي ازدهرت متعاقبة في دبر الشرق داتيهما والقاصيه . كذلك اخذ عدد كبير من رجال المال والاعمال الاميريكون ومن البيهات التجارية الجبارة والشركات الصناعية والكلية في اميركا ، لسبل المنح الطفلة على من يرغب من الاميريكون في التخصص بتاريخ الشعوب الشرقية ولقائهم وشتي مظاهر معنياهه الفائرة . فنشأت من هذه الحركة الفائرة مبرات جبارة اولفت الهيات واتلتها عن سعة في تسيل توسيق الاقليات على الدراسات الشرقية بين الاميريكون في أي حقل من حقول العلم والفن والادب والعرافة . وعدد كبير من الجامعات الاميركية الكبرى الى اجراء تعديلات مهمة على مناهجها وبرامجها تعاول تقوية كل ما يتصل من هذه النماذج بتاريخ الشرق وشعوبه قديما وحديثا حتى ان هذه الحركة في تطوير النماذج التربوية بلغت بعض القاعد الثانوية التي زادت مؤخرًا من حصص الدراسة في البرامج المتخصصة بتاريخ الشرق ومنهائيه الفائرة .

وقامت بعض هذه الجامعات تنشي فيها ، معاهد خاصة لدراسة الشرق ، ظهر بعضها منذ نحو خمسين سنة واكثر كمعهد شيكاغو والاقلي ، ومعهد الشرق الانبي في برنستون ، وشرق العربي على انشاء مثل هذه القاعد ، بعد الحرب العالمية الثانية يؤمن لها الجامعة ، بفصل ما قلناه من مؤازرة البريات الانجيلية الكبرى كميرة كالنيجي ، وديكتر ، وفورد ، خير البهراء والاصغاليين بالشرقيات في اميركا او في الخارج وتزددها بفران السكب القاعد التي تفرل بالغير من الاسول وبعها البحث والرأاج وفي ذلك من السولات .

وفي هذا السبيل انشا الاميريكون العديد

من المتاحف والمعارض الشرقية جمعوا لها جميع غنية من مطبوعات الشرق الفكرية والثقافية والفنية واسبلوا على رجال البحث يفترون من مجاميعها وبنبون من معيشتها ما طاب لهم الاتراف والفب . وفي هذا السبيل ايضا قام الاميريكون بنشئون النوادي والجمعيات العلمية الشرقية يلقون نشاطها على دراسة الشرق في شتي مظاهر تاريخيه . كذلك صعدت بعض شركات البترول الاميركية التي تعمل في الشرق ، كالارامكو مثلا ، الى انشاء مراكز للبحث العلمي ، وامتصها ادارة الشركة ، بالبهراء والتلقا من رجال البحث العلمي في الشرقيات من الاميريكون .

ونحن نتقدم لطبعا ، انه لن يمر طويلا حتى يطلع على اميركا من بين الاميريكون ، وجيل من كبر الاصغاليين في الشرقيات يلقون على مدارس الشرق وتظهر معنياهه الفائرة بروح جديدة ووسائل جديدة في اروع وادعي مسا هيا العلم لان من منافع ووسائل ، بحيث تلحق العلوم الشرقية على ايديهم ، مراحل جديدة من التطور والفري .

وهذه الدراسات الاستشرافية التي يؤمن لها المتأجج الدرسي العام في الجامعة ، توترها بصفة دورية من الدورات العلمية في الجامعة ، تتناول بعضها دراسة اللغات ومظاهر الثقافة العامة والتاريخ ، كما يتناول البعض الاخر دراسة الاقتصاد في البلدان الشرقية وحرفاية هذه البلدان ومناخ الحكم المتبع فيها ، وبعضى هذه الجامعات تغطي حرجيها من طلاب التخصص بالشرقيات شهادات جامعة كاستلا علوم او دكتوراه .

والخدا بهذه العلوم والواد الدراسية وسهيا في تخصصها امدت مكتبة الجامعة ، الساما خاصة بالشرق ، تعال بعشرات الافول من الكتب والمؤلفات التي تمت بصفة البحث لهذه الموضوعات ، بينها الانها والاصول من الرابع والمصدر ، يعود اليها من رغب فيها من الاسادة والطلاب ، وقد بلغ بعض هذه الخزان من الفن في مجموعاته الشرقية العامة حتى ما كان منها بقله البلاد اعني بعراصة لغتها ومنهائيه وتاريخ حضارتها ، ما ليس يتوفر منه في كثير من مكتبات في الشرق . وعدد كبير من هذه الجامعات توفر للمعيد من طلابها المستشرقين مناهج مدرسية ومسلمات مالية طائلة تجعل صاحبها بامان من العوز ، فيأبيل مثل دراساته ومواد تخصصه بكسكس جوارحه . وكثيرا ما تكون الجامعات الاميركية ، المستشرقين من طلابها ، من الرحلة الى الشرق والعمل على التتبع العلمي فيه ، بحيث يكونون على اتصال مباشر بالشعوب والافاطر التنسي يدرسون طابع الامواها ومظاهر تاريخها وحضارتها في ما بدأ من اثر على حجر ، او من

حرف مزبور في اجرة او على درج او على ملاف
طست معالاه او كلات .

ام معاهد الاستنراق في امريكا

وهناك عدد من الجامعات في امريكا تقصر
امر الاهتمام بالثقافات فيها ، على بعضي
النواحي الخاصة ، نستعرض فيما يلي أبرزها
نشاطا واسرها شهرة .

جامعة بنسلفانيا

في هذه الجامعة دالتان لغتين بدراسة
الشرق ، تهتم الأولى منهما بتاريخ البلدان
الواقعة الى الجنوب من القارة الاسيوية
وبلدياتها ، كما تلتزم الثانية بمناهج الدراسات
المتطعة بالشرق عامة .

تضم الاولى بين معديها 11 استاذاً و 10
اساتذة معاونين و فيهم من الاساتذة الذين
ولتني هسة الدائرة ، يتوسع خصاصي
بالانثروبولوجيا ، واللغون الشرقية والاقتصاد
السياسي والجغرافية والتاريخ والمفاتيح والادب
والعلوم السياسية ، وعلم الاجتماع ، في كل
من الهند ، والباكستان ، وأفغانستان ، وسيلان
والنيبال ، اما اللغات التي تلتني هذه الدائرة
به فهي : الهندية ، والآوردية ، والبغالية ،
والسنسكريتية ، والبالي والبريتو والمفارسية
والعربية والملاية .

وتضم مكتبة جامعة بنسلفانيا مجموعة كاملة
من جرائد ومجلات تلك البلدان بكل لسان من
هذه اللغات المذكورة ، كما تملك مجموعات غنية
جدا من الخرائط والصورات الجغرافية والصورات
الاصول والارواح الاساسية التي لا غنى عنها
في كل ما يتصل بهذه الدراسات المتشعبة
الوجود والمناحي ، وكثيرا ما تستدعي الدائرة
المذكورة من الخارج مشاهير الاخصائيين
والعلماء الاعلام ليحاضروا الطلاب بموضوعات
اختصاصهم مما يتعلق بهذه الدائرة والبحث العلمي
واللغون والمصاحفة وحركة الاعمال .

اما الدائرة الثانية ، وهي دائرة الشرقيات ،
فيفتصدها من يربى من الطلاب المتخصص في
حلول العلوم الاسترالية : كعلم الاثولوجيا الثقافية
الهامة والتاريخ واللغات ، ولا سيما القديمة
منها . ويلتزم على هذه الدائرة نحو من 12
استاذاً اخصائياً يلقون طلابهم ما يتعلق
بالهند وايران والعجم ومصر ، وسوريا وبلدان
الشرق الاقصى . ولتني هذه الدائرة بتدريس
اللغات الابراهيمية والهندية ، والسانسكربتية
والهندية الاوردية ، والمفارسية ، والمفارسية
والصينية والبركيت والبالي ، والعربية
والارامية والآكادية والعبرية والآفرائينية
والعبرية واليبانية . وفي اقسامها متحف غني
لري يضم مجموعات ضخمة من الآثار التي تمت
بصفة لهذه الاطراف .

جامعة شيكاغو

هي من الجامعات الاميركية الشهورة التي
يبنى معهدا الشرقي على الاخص بمعنيها
الشرق القديم والحضارات التي توارثت عليه
مؤخرة ، مما طلع على مصر او الشرق
الاطار آسيا الغربية . كل هذه الفروض ولف
على دائرة جامعة شيكاغو الشرقية للاداب
واللغون .

والعهد المذكور معاده ٢٨ استاذاً من كبار
الاساتذة والمشتغلين الاميركيين ، يدرسون
تاريخ مصر وفلسطين ، وسوريا والافسوسيا ؛
والشور وبلبل ؛ والبلاد العربية والعجم والهند
والصين . فغالبه تغير بقلته ما يربون
فيه من اللغات الشرقية الكلتية والعربية
القديمة والعيشية في مختلف ادوار تطورها ،
والعبرية والفارسية والسانسكربتية والارامية
والسريانية والآكادية والسومرية والعنسية
والعربية والعجمية والافسسية . وللهذا العهد
مكتبة ثرية تضم نحواً من ٢٠ ألف مجلد ، بينها
الاصول الهامة التي تتعلق بتاريخ هذه البلدان
والتمسها وقوتوها وعادياتها وآداب الشرق
الادبي .

وهذه الدائرة تحاور الى حد بعيد ومعهد
شيكاغو الشرقي . وهذا المعهد عبارة عن
مؤسسة علمية خاصة منقطة للبحث في ما
يتصل بعلوم الشرق الادنى
والامانة لآلة الشرقيات في جامعة
شيكاغو العربية النماة للاداب من كل ما يتور
من مصادر والاصول في مكتبة المعهد الشرقي ،
في هذا العهد الذي يضم ايضا متحف اريا غنيا
بمجموعاته المختلفة وبما فيه من الوثائق
التاريخية الهامة .

معهد دروسي للشرق الادنى
في جامعة كاليفارنيا

هو معهد يبنى بجامعة تاريخ اسرائيل
(العبرانيين) وتاريخ بلدان الشرق الانسي .
وله مكتبة غنية تضم اكثر من ٦٧٠٠٠ مجلد ،
بينها مجموعة من المخطوطات الشرقية تكمن
الباحثين من الانصراف للتحقيق الى كل ما يتعلق
بالشرق الادنى ، قديمة وحديثة ، وتاريخية
العبرانيين والقديمة الآشورية والعربية واللغات
السامية على اختلاف اللهجات ولهجاتها .

جامعة كولومبيا ومعهد الشرق الاوسط فيها
انشأت جامعة كولومبيا ، هي ايضا ، في
الآلة الأخيرة ، معهدا يمتشي بالدراسات
الخاصة بالشرق الادنى والاوسط ، يضم
دوائر شتى وابساما مختلفة تلت نشاطها على
الاحداث التي تدور حول اسرائيل وبلدان الشرق
وباكستان وتركيا وغير ذلك من بلدان الشرقين

الادنى والاوسط .

معهد الدروس الشرقية في جامعة هارفرد

انصرفت جامعة هارفرد من جهةها هي ايضا
بعد الحرب العالمية الثانية ، لانشاء معهد
للدراسات الشرقية اسندت دعامته الى الاستاذ
الكبير لانجر . وقد اتبنت الجامعة المشتركة
الاكاديمية الكبير جب استاذ اللغة العربية
في جامعة اكسفورد ليتولي ادارة المعهد
المذكور . والعرفون ان البروفسور جب خلف
الرحوم برجلوت في تولي استاذة العربية
في تلك الجامعة . ومن المنتظر ان تشي
الدراسات الاسترالية في العهد المذكور وان
تلتزم للعمل على تشيخات علمية بلرة .
وقد بلغنا ان الدكتور نقولا زيادة احد اساتذة
قسم التاريخ في الجامعة الاميركية ببيروت
اتتبع للعمل في معهد هارفرد الشرقي خلال
السنه الدراسية ١٩٥٦-١٩٥٧ .

المعهد الشرقي في جامعة جونز هوبكنز

ولجامعة جونز هوبكنز معهد للدراسات
الشرقية اصغر شاتا من المعاهد التي اشرنا
اليها . وفي العهد المذكور اسرع خاص
بالدراسات الشرقية وفقا لحاج خاص بالعلوم
القائمة في الشرق الادنى . وللمعهد المذكور
خزانة غنية بالاصول الشرقية بعضها قاسم
في مدينة بالتيمور ، والبعض الاخر في مدينة
واشنطن العاصمة .

والفرع القائم في العاصمة واشتطون يتمتع
اليوم بشهرة واسعة في دنيا الاستنراق لسي
اميركا باسم نطقة ممتازة من كبار الاساتذة
ورجال البحث بينهم صديقنا الدكتور مجيد
خوري الذي عرف بمؤلفاته العنقودية وابعاله
في بعض نواحي التاريخ الشرقي الحديث
بالعربية والآكادية .

جامعة ميشيغن والدائرة الشرقية فيها

لتني جامعة ميشيغن ثمانية معاهد
بالدراسات الشرقية ، فاشأت في هذا السبيل
دائرة خاصة افترضت برورفها ولوقفتشاهها
على الشرقيات وراحت لتسقي في ثمانين
الاجعات والدراسات القصية في تاريخ مصر
والفريقيا الشمالية وفلسطين وسوريا وتركيا
والجزيرة العربية والعراق وايران . اما اللغات
التي تلتني الجامعة بتدريسها فثيرة ، منها
العربية بلهجتها العامية واللغوية والكردية
والمفارسية العامية واللغوية ، والعبرية الكتابية
والعبرية والآرامية ، والبالية والآشورية ،
والسنسكريتية والبنالية حسب اهلها لغات
ان موضوعات التخصص التي يتدرج
والاخصائي فيها فتترواح بين كالكوريوس علوم
ودكتور في العلوم ، وتتكون الانثروبولوجيا ،

وعلم الآثار والبيولوجيا والافتصاد والفنون الجميلة والجغرافيا والتاريخ واللغة الاسلاني وعلم الاسن العامية والاستنبسية السلفية ، والفلك والادب ، والعلوم السياسية والتدين والفلسفة .

واللتخصص بهذه الدراسات او الموضوعات العامة ، يعطى تسهيلات خاصة تمكنه من السفر الى بلدان الشرق ، حيث يقوم بتتبعها للهدف بتوجيه بعض اساتذته يقضون في حرجها ودرسا سنة او اثري يكونون فيها على اتصال وابق بالشرق او البلد السكسي بدرى التعليل تاريخه ويتبع كما يدا من مقلدو حصاره في شتى ادوار تطوره .

جامعة برنستون وسهدها الشرقي

برنستون من ارقى جامعات الولايات المتحدة ومن أبرزها الى ارقى في تطوير الاستراتيجيات في تلك البلاد . وهي من السهلات بين الكليات في الجامعة الاميريكية الى انشاء معهد خاص فيها يعنى بتاريخ بلدان الشرق الاذني الاوس ولعلنا لا نعدم الحق والحقبة الا اذا ما صرحنا هنا ان هذا المعهد الشرقي في جامعة برنستون هو مد عين في ما حلقه من تطور في مقسلس الاستشراق الى ملائحة البعثات المؤرخ القطنه الكليه الدكتور فيليب حتي احد مفاخر لبنان في الهاجر الاميريكية . والدكتور حتي هو خريج جامعة برنستون نال منها الدكتوراه وبعد اهل فيها بعد تقويمس التاريخ الشرقي ، لم يرس الدائرة الشرقية فيها ، فعمل بما اولىه من قوة الخلق والابداع ، على تطوير مناهج الدراسات فيها ورفع مستواها وتنويع موضوعاتها وموادها . وقد توفى بفضل جهوده المتصلة وصلاته الفيرة الثمرة الى مد المعهد الشرقي في برنستون ، السى جلب الدائرة العربية بدوالي اخرى خاصة بالفلسفيسية والتركية . فرعاها بما عرف منه من عزم وحزم وجدل وفيرة الى ان اسولها الى ما نراها عليه اليوم من رفة الانسان والفتلة .

ومكتبة برنستون الجامعية تلك السما شرقيا هو من افضى ما قام من امثاله غسى الولايات المتحدة بما احدث الاصول واحداث المعاصر والاراجع التي لا يستثنى منها ما يأتى يود الاستشراقى في معجسلس الدراسات الاستشراقية ولا سيما ما تعلق منها ببلدان الشرق الاذني والاوس وتاريخها عبر الاجيال وقد فرغت خزائنه برنستون الشرقية بمجموعة مطبوعات العربية ، وهي مجموعة تقاسمى بمدداه واعينها اهم الجاهى التي تحمل بها المكتبات الكبرى في الغرب مكتبة باريس الاهلية والمكتبة البريطاني ومكتبة الكيان . وهي تعرف متدعم بمجموعة « غرايت » . وقد فويس للنسج من مجموعة المطبوعات هذه ، الدكتور نبيه فارس استاذ التشريخ

الشرقي في الجامعة الاميريكية ببيروت الشرق ، في دليل خاص اشتره بوصفه تحت اشراف الدكتور فيليب حتي ، مع الدكتور نبيه فارس ، الدكتور باريس عبد القيس فوسلوا بالعثون لشتند دليا فهر مطبوع عام ١٩٢٨ في ١٢ + ٦٦٦ صفحة من قطع الواسع ، مع ٢٢ + ٥٦ صفحة للفهارس والفكرد الخطنه . وقد وصلوا فيه ٢٢١٢ مطبوعه مريا كسروها على ٥٦ بابا من ابواب العلم (١).

ومن بين مشاهير اساتذة جامعة برنستون والدائرة الشرقية فيها في السنوات الست الاخيرة الدكتور بيرد فودج الذي شاء الا يحرم طلاب جامعة برنستون من علمه الواسع واختلافاته الثمينة انشاء راسلته للجامعة الاميريكية في بيروت ، فقبل مركز استاذ محاضر فيها .

جامعة كاليفورنيا وساهمتها الاستشراقية

ولجامعة كاليفورنيا التي تعد فروعا اذرية الكبرى اثر من ٤٠ الف طالب مدل وصمى كرمات في حقل الاستشراق والتكنين لاسيابه في امريكا . وقد اشتهرت برلكسي بنشاط مرموق من هذا القبيل تمثل على اتم وجسه في العمل الاستشراقى الكيد الذي حلقه المستشرق الاميريكي بوير ، والذي له في مداد مائه البرزلة في هذا الحقل ، ترجمته الى الانكليزية لتاريخ يوسف بن نصري بسري الكيد فطنون : « النجوم الزاهية في افقيل مصر والفتارة » .

ويطاول فرع الجامعة الثلاث مدينته لوس انجلس في الجنوب من ولاية كاليفورنيا ، ان ينشئ هو ايضا معهدا للدروس الاستشراقية كذا اعطينا بذلك الدكتور بوال ، مدير مكتبة جامعة لوس انجلس .

معاهد استشراقية اخرى

وهناك على ما ذكرنا ، معاهد لدراسات الشرقية لها من الرتبة دون ما استعرضنا له من معاهد مختلفة ، تقوم على اقدم مقسوقه وجهد ملحوظ ، تيد فيه تاريخ الشرق الاذني والاوس في ما يلقى من معارف مناهجها عبر التاريخ . فهي كل من جامعات وودسترو ويوبورك وكساس معاهد خاصة او بالآخرى الاسم خاصية بالمدروس الاستشراقية يمشون فيها مثابة مرموقة .

وبعض الجامعات الاميريكية تعنى عنايصة خاصة ببعض نواحي الشرقيات فكترس لهما الاسم الاوفر من اهتمام الاساتذة والطلاب الذين يصرهون الى تجلية الموضوع والاستشجار بمجاهله . وتحمل الجامعة احيانا بطيعة خاطر

(١) راجع فيه وصفا تحليليا مسجيا قسي كتابنا : دليل العرب الى علم الكتب ومن الكتاب ص ١٦٦-١٥٠

نفتات التنويرات العلمية التي تصورها في ناحية من نواحي البحث العلمي والتكنين ، بحيث يصبح في مقدور رجال البحث ان يبلدوا من هذه الدراسات والجهود القبلولة في سبيلها . وهناك اليوم امكانيات كثيرة تتوفر لمن يريد من الاميريكين الاستبحار بالشرقيات والتخصص في ناحية من نواحي العلوم الاستشراقية ، وهي امكانيات تتوفر على احسن وجه في هذه النجج العديدة التي تولدها الحكومة الاميريكية ولا سيما المؤسسات والبريات الاميريكية الكبرى ، والبعثيات الفخرية وبعض الحثنين من هؤلاء الامثانيين . وقد اشتهرت مؤسسة فورد والمجلس الاميريكي للدراسات الاجتماعية ، والمعهد الدولي للتربية والتعليم ومؤسسة دوكلر وغيرها من المكتبات الاميريكية الاخرى ، بالفرقوات السلفية والمكتب الفنية التي اسستها ولا تزال تسهلها بكرم خاص ، على الراغبين من الاميريكين بالتخصص بالشرقيات .

معهد هوفر ومكتبته

ومن بين هذه المؤسسات العلمية الاميريكية العديدة المعهد مئانها بالتشريق والافتصاد بمراسكه ، معهد هوفر ومكتبته وهو معهد يصرف جامعا الى جيع الفنى مما يمكن جمعه من الراجع والاصول الهمة التي تتلقى بتاريخ الشرق العتدث في شتى مفاخر حياة الشعوب والامم . وقد اشتهر هذا المعهد الذي نشا بفضل وفية اوقافها عليه عبر هربرت هوفر ، ناس امريكا الاسبق ، بطرائقه الشرقية الفنية بالاصول والراجع الهمة بالتريكة والعربية والفارسية . وهذه الجاهى يؤلف اليوم ، وحدة ثقافية تساهل بما فيها من الاهمات والاصول ، على تتبع تاريخ الشرق العتدث ، وتلهم المشكلات والفصايات التسيى لنعمرى تاريخ الشرق العتدث ، ولتفهم المشكلات والفصايات التي تعترض تاريخ الشرق الاذني والاوس في تطورها المصاعد والذي لدينا ان هذه المكتبة في اليوم احسن الطرائق الاميريكية وانها من حيث النوع والعدد وقوة مجاميعها لدراسة الشرق الاوس في لقريله العتدث .

وقد نال معهد هوفر ومكتبته منذ ٢ سنوات هبة سلفية قدرها مليونو دولار اميريكي وهبتها مؤسسة فورد لتتمكن ادارة المعهد من فهرسة وتسجيل الواد العلمية الشرقية المتكسمة في خزائنه . وقد ساهمت بهذا العمل في مسا يتعلق بالنسج العربي احدى الاسات البعثيات من اسرة ميبهى .

من هذه المعاهد يبين للقارى كيف ان الدراسات الشرقية في امريكا اخذت فعل معلا مرموقا من منافع البعثيات وبرامجها التعليمية وفي سبيل التهويز بهذا كله وتسجيل القوس

منزلة الاحترام الفكري . فقبل ان يتمكن المفكرون من هجر الطريقة العلمية المقبولة ، كان لا بد من ايجاد وسيلة لازالة الدليل العقلي على ضرورة دعم العقل بأداة أخرى من ادوات المعرفة . والحق ان Hume بدأ وكأنه قد هدم الطريقة العقلية كلها ، لكن الناس الذين كانوا قد شاهدوا علما واسما للطبيعة والطبيعة البشرية ينهض امام اعينهم ، مهما كان شعورهم بعدم جدوى الطريقة العلمية في الاجابة عن كثير من المسائل الهامة ، لم يكونوا مستعدين للتنزل عن هذه الطريقة بأكملها . فالذي كانوا يحتاجونه هو البرهان الذي يلائم فكرهم وويلهم ، كذلك البرهان الذي كان توماس Thomas قد قدمه في القرن الثالث عشر لدعم افكاره وميوله ، عندما قال بان العقل كان صحيحا ضمن حدود ، وأنه خارج هذه الحدود يجب ان يقف مكتف الايدي في حضرة الايمان . وقد تقدم بهذا البرهان المقنع في آخر الامر عام ١٧٨١ عما تويل كانت في اشهر المؤلفات الفلسفية وابعدها التوا في العصور الحديثة اعني مؤلفه الموسوم بـ : « نقد العقل الحض » .

ان نقاسيل هذا الكتاب الصعب المشوش هي على درجة من التعقيد تجعل تلخيصه متعذرا ، يكفي ان نقول ان كانت ، تحليل طبيعة المعرفة وقدرته العقل البشري ، حاول التدليل على ان العلم وطرق علمي الميكانيك والفيزياء الرياضيين هي صالحة لوصف العالم الذي يقدر الانسان ان يحصل منه أية خبرة عقلية ، بينما هي عاجزة كل العجز عن ان تكشف لنا عن حقيقة العلم اذا لم ينظر اية من خلال هذه الاداة الكثيرة الاختيار اعني العقل البشري . ان العلم وصف صادق للحوادث Phenomena أي للاشياء بالشكل الذي يسمح لنا فيه تركيب عقولنا واسلوب عملها بان تلخصها ، لكن ليس في وسعه ان يبرر لنا البسات او اتيار أي شيء من العالم الحقيقي ، أي العالم كما هو في ذاته ، كما يبدو للعقل كامل منزو من كافة التقاسيم البشرية كعقل الآلة . « ان هذا يؤدي بنا الى الاستنتاج باننا لا نستطيع قط ان نتعالى عن حدود الاختبار الممكن ، واننا لذلك لن ندرك الموضوع الذي تهتم به الميتافيزيكا - اعني علم اللاهوت العقلي - بالدرجة الأولى » . اننا لا نستطيع ان نعرف العالم كما هو في الحقيقة ، بل بالطريقة الخاصة المحدودة القاصرة التي بإمكاننا ان نعرفه بها .

ان هذا يعني طبعا القول بان علمنا لا تشمل ولاستطيع ان تشمل كل شيء ضمن افهامنا . ولكن ما الذي بدفعنا الى القول بان العالم في الحقيقة مختلف من العالم الذي نستطيع ان تصفه لنا الطريقة العلمية وبانه اكثر اسما منه ؟ هذا ينبغي كانت Kant مدافعا عن جميع النزعات الرومانطيقية التي كنا بصدد تلخيصها فيقول باننا نملك خبرات أخرى ، خبرات الصير والجمال والدافع الدني ، وهي خبرات ، رغم انها ليست قط خبرات علمية وعقلية بالمعنى الصحيح ، ورغم استحالة ادخالها ضمن إطار الفيزياء الميكانيكية ، هي خبرات قوية وهامة الى حد لا يمكن معه اهمالها واعتبارها مجرد تصورات وهمية ، كما انها تظلل مستعمية على الفهم الى ان نفترض بان العالم في الحقيقة هو شيء مختلف عما يستطيع العلم البرهنة على وجوده . ولما كنا لا نستطيع قط ان نعرف علميا شبه الكون الحقيقي فلدينا ما يبرر لنا ان نعتقد ، لاسباب عملية مستمدة من

كانت قد اتضحت في القرن السابع عشر ، حينما شجب الكوبرنيكان جورج فوكس George Fox وباركلي Barkeley جميع العادات والتقاليد استجابة للرؤية الواضحة التي يطالعنا بها « الضوء الداخلي » . وبينما ظل الكوبرنيكيون مخلصين للتقليد المسيحي وحدهم دون سائر الفرق المسيحية ، كما يدعون ، نراهم باسم ممارستهم الخاصة تصورات الآله ، يقفون في وجه الزمك والاساقفة كما لم يقف قط حتى الكالفينيون انفسهم . وبينما بدأ انتصار مذهب التقوى الاسمان وانتصار المذهب الانجيلي الانكليز كحركتين ضمن كنيسة الدولة ، اذا هما تزدهران وتصبغان المنظمتين المستقلتين : « الاخوان الموارفيون » و « الكنيسة المنهاجية الميثودية » . ولما اخذ الشعور والحديث يظهران في الميدان السياسي والاجتماعي ظلا دائما تقريبا حتى قيام الثورة في صف ثورة الطبقة الوسطى على النظام القديم . ذلك ان الرومانطيكيسين والعقليين مهما اختلفوا فقد اتفقوا على امر واحد : هو الايمان بالفردي . ولذلك كان كلا الفريقين بمثابة التعبير الفكري عن مطالب الطبقات التجارية الغريبة ، فكان روسو وبنثام ولوك يجتمعهم أمر واحد : وذلك هو مناداهم بالتحرر من القيود الحكومية . وقد جاءت النزعة الرومانطيقية لتشد أزر النقد العقلي للتقاليد ولتضيف نلوا الى نور العقل الساطع ، ولئن كان العقليون لا يتوخون العقل دائما ، فان الرومانطيكيسين ايضا لم يكونوا يتحاشون العقل دائما ، لذلك كان بالوسع ان يقوم تعاون بين الفريقين ما دام هناك حافز مشترك ، هو كره النظام القديم ، وما دامت هناك مصلحة مشتركة وهي مطالب الطبقات الوسطى .

كانت الحركة الرومانطيقية في اول الامر تضييق في كل مكان وقودا الى الثيران التي اشعلها (انتصار المذهب العقلي) ففي فرنسا كان روسو ، وفي ألمانيا كان الشعراء التائيرون للتيون بشعراء « المعاصرة والتوتر Stress وStorm » كافي فورت في مؤلفه جوتنزفون برلخينجن - Gutz von Berlichingen . ١٧٧١ وشيلر في مؤلفاته : قطاع العرق The Robber ١٧٨١ ، ومهزلة Plesco والمؤامرة والعاطفة Plotond Passion ١٧٨٤ وفي انكلترا نجد كوليريدج في القسم الاول من قصيدته في فرنسا France ، Ode to France ، ووردزورث Wordsworth في مؤلفه الثورة الفرنسية French Revolution شيلي التائر دائما مؤلف الملكة Mab وهيلاس Heffas واطلاق بروميسثوس Prometheus نجد هؤلاء كلهم بله Byron وفي أمريكا نجد صاحبي النزعة الرومانطيقية المتعالية اميرسون Emerson وثورو Thoreau كل هؤلاء اخذوا بنشدون اناشيد تنطوي على ثورة بروميسثي Promethean بوجي من التبدلات الاجتماعية الجبرية التي كانت تجري في نهاية القرن . كان الشعراء يصوغون في قصائد غنائية المشاعر التي كانوا يحسونها آراء المبادئ التي يطالع بها العلماء والعقليون .

التبرير العقلي للايمان

بينما كانت هذه الجول التحمسة للايمان وللحديس التصوري خادمة في الانتشار لدى الطبقات الدنيا وبين الفئتين والشعراء ، كان المتفكرون من رجسالة عصر التنوير يظهرون ترددا في التخلي عن العقل ، اذ لم يكن الايمان بعد قد نال

مفهومه من العالم ومفهومة عن الحياة البشرية . ويعبارة أخرى فان الشاعر أو القديس اصدق من العالم دليلا فني طريق الحياة والفكر . ومن واجب الدين ، والأخلاق والفن والادب والفلسفة والسياسية والاجتماعية ، والتربية ان تدرك هذه الحقيقة الاساسية وتبني عليها ، ليس الدين نحيها ، والأخلاق ليست علما بل هي في جوهرها الارادة الطيبة واداء الانسان واجباته . وليس الفن مسألة شكل وتركيب بل مسألة غنى في العاطفة والشعور . والمجتمع ليس مشروعا جامدا مؤسسا على المصلحة الداية ، بل كائنا حيا كبيرا يشد اعضاؤه ازر بعضهم البعض ، ويسمى حينئذ لتحقيق مثل عليا يراها رؤية غامضة . واكون كله ليس الة ، بل جسما حيا يجب تعليمه كما تعلم حياة الانسان .

فهردر Herder مثلا ، وهو ابو الرومانتيكيين الالمان ، بنى كل الحقيقة على المشاعر ، وعلى الايمان ودون العقل بوصفه ضرورة داخلية غير قابلة للتحليل . اما جاكوبي Jacobi الذي ربما كان اكثر هؤلاء المفكرين شهرة ونفوذا رغم انه ليس احصاهم ، فقد اعتبر الحدس بصرحة ينبوع المعرفة النهائية وهجر كل المحاولات الراحية الى التوفيق بين يقينه وبين القوانين العلمية للطبيعة . وقال ان اليقين المباشر والحاصل من الرؤيا الداخلية هو اعظم من البرهان المنطقي واشد يقينا منه . ودعا في اول امر هذه الموهبة التي تدرك بها الحقائق الروحية Glaube اي « الايمان » ولكنه فيما بعد دعاها Vernunft اي العقل ، فافسح للكثيرين في حرية وارباك ، وكان قصده من ذلك ان يميزها عن العقل الطبي الذي دعاها Verstand اي « الفهم » . ولقد تبعه اناس كثيرون في هذا التمييز بين « العقل » اي « الايمان » وبين مجرد « الفهم » ، فكنيت تسميع اصدقاءه هذا التمييز عند كولريديج Coleridge وكارليل Carlyle في انكلترا وامرسون Emerson في امريكا . وتيسر شليماخر Schleiermacher هذا التمييز في الدين بتبني فيه اسالة كبيرة ، كما تبناه Schelling في الفن ، وهگل Hegel في عموم التاريخ البشري والفكر البشري . ان ما يميز هذه النظم المختلفة بعضها عن بعض لجدير بالانتباه حقاً ، ولكنه لا يعادل من حيث الاهمية ما هو مشترك بينها جميعا من المبادئ الجوهرية والمفترضات . ونشأت عن ذلك فلسفات واقوال في التبرير ، كانت تؤلف مزجيا غريباً لكنه ، في اغلب الاحيان ، مزيج جميل من العناصر التي كانت تبدو متناقضة من الناحية العقلية على الاقل . فسان داود فريدريش سترابوس David Friedrich Strauss اللاهوتي العقلاني الكبير في القرن التاسع عشر ، الذي ربما ذهب ابعد مما ذهب حتى هيوم وهوبز Hobbes في القرن السابق ، في الحملة على صدق التقليد المسيحي ، ان سترابوس هذا على هذا النوع من المزيج تعليقا لادعا بقوله : « ما كل انسان يقدر ان يسحق المسيحية والعلم النيوتوني يؤلف منهما مزجيا . ومعظم الناس ينتهون من هذا المزيج الى التقليد الذي يقوم منه التقليد مقام اللحم ، ويقسوم شليماخر مقام الدهن ، ويقوم هگل مقام البهارات » .

جورج طعمة

الجامعة الأمريكية ببيروت

حاجتنا الى العيش كما لا بد للكانات البشرية ان تعيش ، ان نعتقد بانه نوع من المكان الملائم لهذا المزيج من العقل والشعور الذين تتألف منهما الطبيعة البشرية . اتنا نعمل ولا غنى لنا عن العمل بوجي من واجب اخلاقي ، واتنسا نستشعر ما بد لنا ان نستشعر احتراماً لدينا لشئ في الكون اعظم منا ، واتنا نمجب ولا مندوحة لنا من الاعجاب بجمال في الاشياء لا يمكن تعليمه تعليلا علميا . واذا لم كنا لا نستطيع بطرق العلم ان نثبت ولا ان ننفي ان من واجبتنا اختيار الصواب دون الخطأ ، واتنا احرار في الاختيار ، وان الكون يدار بشكل ما بقانون اخلاقي ، ولما كنا مضطرين كل الاضطرار ، ما دمنا مخلوقات على هذه الصورة التي نحن عليها ، الى العيش كما لو كانت هذه الامور صحيحة ، فان لنا ما يبرر لنا الاعتقاد بانها موجودة . عندما يعجز العلم عن الاليات او التقي يحق لنا ان نركن الى الايمان .

بدا هذا الدفاع العقلي عن الايمان مقنعا في نظر كثير من الناس ، واستقبله الرومانطيكيون بحماس وهم الذين كانوا يعتقدون بان العلم العقلي لم يكن ملتحا . وهو ، اذ نادى بان العلم محدود الاثني ، مهما كانت صحته ضمن تلك الحدود ، فتح الباب لعدد لا يحصى من الطرق الاخرى في الوصول الى المعتقدات الفلسفية والاخلاعية والدينية في قدر الانسان ومكانه . ان اتنا لم نعتقد بان الحقيقة يمكن التوصل اليها بآلية طريقة اخرى غير الطريقة العلمية كنت لا ادري Agnosto لكن ان اعتدلت بذلك فعلى الاقل لن يستطيع احد بان يبرهن انك كنت مخطئا . ان معظم الناس لم يعتبروا ان من شان هذه الحسدود المفروضة على قوي العقل ان تبسط الهمم بل رجوا بفلسفة « كانت » التي كانت تسمى « الفلسفة الاقنادية » ، على انها الباب المفتوح المؤدي الى حرية الاعتقاد بجميع ما كانوا يريدون مخلصين الاعتقاد به تقريبا . وفي الجبل التالي اقترح شعراء وفلاسفة ولاهوتيون متحمسون شعرات من الطرق الموصلة الى الحقيقة . ولم يكن طريق « كانت » الخاص على درجة من الاهمية تعادل اهمية الشهادة التي تظهر انه منها الناس وخولهم بها شق معرات جديدة خاصة بهم عبر مجال الحدس والايمان اللاعقلية . لخص « كانت » ماثرته الجلية للسعادة العقلية بهذه الكلمات : من وجهة نظر النقد يمكن ان يكون كل من مذهب الاخلاق ومذهب العلم صحيحا ضمن مجال الخاص ، وهو امر لم يكن بالامكان بيانه لولا ان النقد قد برهن من قبل على ما لا يمكننا تجنبه من الجهل بالعالم الحقيقي ، ولولا انه قصر كل ما يمكن ان نعرفه معرفة علمية على الظواهر فقط . فوجدت اذن ، من الضروري انكار معرفة الله ، والحرية ، والخلود لكي اجد مكانا للايمان » . ان جميع اختيارات الحقيقة التي صاغتها اجيال العلماء ذهبت سدى ، وصار الناس احرارا في الاعتقاد بكل ما كانت مصالح الطبيعة البشرية يكاملها تدفعهم الى الاعتقاد به ، واصبح كل نوع من الايمان تقريبا محترما من الناحية العقلية .

دفع كتاب « كانت » الرومانطيكيين الى سبل من النظم الخاصة المؤسسة على الايمان . فاخذوا يدعون ان الانسان في جوهره ، ليس عقليا ، بل ان الطبيعة البشرية مؤلفة في قرارها من الغرائز والمشاعر ، وان حياة الانسان الفريزية والانفعالية يجب ان تسيطر على سيرته وتعين له

